بيان معاني الحق في القرآن الكريم

دراسة موضوعية

تأليف

دكتور

محمد عبد الرحمن محمد عبد الله

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين ـــ القاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، الداعي إلي الحق وإلي صراط الله المستقيم، اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلي آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين .

وبعد :.

فإن القرآن الكريم نوّه بالحقّ في أوائل ما أنزل من الآيات علي قلب النبي محمد ﷺ فقال عز وجل: ﴿ وَالْعَصْرِ ۞ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (١)

ثم ذكر عز وجل أن الحقّ شأن الأنبياء فقال جل جلاله: ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾ (٢)

ولم يزل يتكرر التنويه بالحقّ في آيات الذكر الحكيم، فقد اقتضت حكمة الله تقدّست أسماؤه أن يكون قوام نظام العالم بكل ما فيه قائم علي قاعدة الحقّ والعدل فقال عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾ (٣)

وقال جل جلاله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٥) إلي غير ذلك من الآيات.

ووصف الله عز وجل به كتابه المبين فقال تعالى: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ﴾ (٦)

وقال جل جلاله: ﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾ (٧)

ووصف رسوله ﷺ بأنه علي الحقّ فقال تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ (٨)

إن بيان الحق وتعيين مستحقه من أهم مبادئ النظام الإسلامي ليكون المسلمون علي بصيرة من أمرهم فيما

---

(١) سورة العصر بتمامها.

(٢) سورة ص الآية: ٢٦.

(٣) سورة الأنعام الآية: ٧٣.

(٤) سورة الحجر الآية: ٨٥.

(٥) سورة الجاثية الآية: ٢٢.

(٦) سورة الإسراء الآية: ١٠٥.

(٧) سورة الشورى الآية: ١٧

(٨) سورة النمل الآية: ٧٩.

يأتون من الأفعال، وليكون تحريضهم علي الحق وتحذيرهم من مخالفته وقعٌ في إجراء نظامهم علي الوجه الأتم وليكون في مؤاخذاتهم علي التفريط فيه والاعتداء عليه مظهر العدل والحكمة قال ﷻ: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾(١)

وقال ﷻ: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾(٢)

ولقد كان النبي الكريم ﷺ إذا قام من الليل يتهجد امتثالاً لأمر ربه ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾(٣) فإنه يثني علي الله ﷻ بعظيم الثناء وجزيل الحمد.

روي البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: "اللهم لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض ولك الحمد أنت الحقّ ووعدك الحقّ ولقاؤك حقّ، وقولك حقّ، والجنة حقّ، والنار حقّ، والنبيون حقّ، ومحمد ﷺ حقّ، والساعة حق. اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبوبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت"(٤)

(١) سورة الإسراء الآية: ١٥.

(٢) سورة النساء الآية: ١٦٥.

(٣) سورة الإسراء الآية: ٧٩.

(٤) فتح الباري ك التهجد ب التهجد بالليل (١١٢٠) قال ابن حجر: قوله: (أنت الحقّ) أي: المتحقق الوجود الثابت بلا شك فيه، قال القرطبي: هذا الوصف له سبحانه وتعالي بالحقيقة خاص به لا ينبغي لغيره، إذ وجوده لنفسه فلم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم بخلاف غيره ... قوله: (ووعدك الحق) أي: الثابت، وعرّفه ونكّر ما بعده لأن وعده مختص بالإنجاز دون وعد غيره، والتنكير في البواقي للتعظيم ... وإطلاق اسم الحق علي ما ذكر من الأمور معناه أنه لا بد من كونها وأنها مما يجب أن يُصدّق بها. وتكرار لفظ حق للمبالغة في التأكيد...

قال الكرماني: هذا الحديث من جوامع الكلم، لأن لفظ القيم إشارة إلي أن وجود الجواهر وقوامها منه، والنور إلي أن الأعراض أيضاً منه، والملك إلي أنه حاكم عليها إيجاداً وإعداماً يفعل ما يشاء، وكل ذلك من نعم الله علي عباده، فلهذا قرن كلاً منها بالحمد وخصص الحمد به. ثم قوله (أنت الحق) إشارة إلي المبدأ، والقول ونحوه إلي المعاش، والساعة ونحوها إشارة إلي المعاد، وفيه الإشارة إلي النبوة وإلي الجزاء ثواباً وعقاباً ووجوب الإيمان والإسلام والتوكل والإنابة والتضرع إلي الله والخضوع له. انتهي. وفيه زيادة معرفة النبي ﷺ بعظمة ربه وعظيم قدرته ومواظبته علي الذكر والدعاء والثناء علي ربه والاعتراف له بحقوقه والإقرار بصدق وعده ووعيده، وفيه استحباب تقديم الثناء علي المسألة عند كل مطلوب اقتداءً به ﷺ. اهـ فتح الباري ٣/ ٥ فما بعدها.

وموضوع البحث(بيان معاني الحق في القرآن الكريم دراسة موضوعية) يدخل تحت التفسير الموضوعي وهذا واضحٌ وبيّن من خلال عنوان البحث.

الحاجة إلي التفسير الموضوعي:

إن الحاجة إلي التفسير الموضوعي واضحة جلية، ومهمة غاية الأهمية لأن تلك الطريقة تؤدي بالناس إلي أن يفهموا القرآن الكريم فيتبينوا اتصاله بواقع حياتهم حيث يرشدهم إلي الصالح منها ويجنبهم ما يكون حذراً وعائقاً عن طريق إسعادهم. كما أن فيها بيان الإعجاز في القرآن الكريم للوصول بذلك إلي الإيمان برسالة النبي ﷺ.

والعصر الذي نعيش فيه يحتاج غلي ذلك النوع من التفسير حيث كان في سلوكه إدارك المقصود من أقرب الطرق والوصول الحقيقة بأسهل الوسائل خصوصاً أنه في عصرنا يثار كثيرٌ من الغبار في جو الأديان فتنتشر المبادئ الهدامة، وتشيع في سماء الإنسانية سحب الضلال والشبه، وليس يقوي علي ذلك إلا سلاح قوي واضح سهل يُمكّن عالم الدين من الذود عن حياضه والدفاع عن دعائمه، وليس هذا إلا بذلك النوع من التفسير حيث كان جامعاً لشتات الموضوعات محيطاً بأطرافها.

ولا ريب أن هذه الطريقة في الأبحاث القرآنية، فيها الدواء من الأسقام النفسية والجسمية، وفيها العلاج لكل مشاكل حياتنا السياسية والاجتماعية وغيرهما قال ﷻ: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾(١) وإني إذ أعرض هذا البحث (بيان معاني الحق في القرآن الكريم دراسة موضوعية) عرضاً موضوعياً أبين فيه تلك المعاني الجلية التي ورد عليها

(١) سورة الإسراء الآية: ٩ وانظر التفسير الموضوعي أ. د/ أحمد السيد الكومي: ص١٧: ١٩.

الحق في القرآن الكريم، فلا أدعي أنني قمت ببحثه علي وجه الكمال فهذا أمر لا أدعيه لنفسي، ولكنها المحاولة، وحسبي أني للخير قصدت، وللجهد بذلت ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [(١)]

دكتور
محمد عبد الرحمن محمد عبدالله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية أصول الدين ـــ القاهرة

(١)سورة هود الآية : ٨٨ .

تعريف الحق

من المعلوم بطبيعة الحال أن لفظ (الحق) مفردة مستقرة في اللغة كثيرة الجريان علي الألسنة والكتابة بالأقلام، كثيرة الورود في السنة والقرآن، وغير ذلك من فنون العلم والأحكام.

والحق هو : الثابت الذي لا يسوغ إنكاره.

قال ابن فارس: (حق) الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل علي إحكام الشئ وصحته، فالحق نقيض الباطل. ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحُسْن التلفيق، ويقال: حق الشئ وجب... ويقال: حاقّ فلانٌ فلاناً إذا ادعي كل واحد منهما فإذا غلبه علي الحق قيل: حقه وأحقه. واحتقّ الناس في الدين: إذا ادعي كل واحد الحق. اهـ [(٢)]

وقال السمين الحلبي: الحق في الأصل الثبوت، والشئ الثابت .اهـ [(٣)]

(٢)مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس: ٢/ ١٥ فما بعدها .

(٣)عمدة الحفاظ : ١/ ٤٣٧ تحقيق محمد باسل ط دار الكتب العلمية ط الأولي سنة ١٩٩٦م.

وقال ابن منظور: حقّ الأمر يحِق ويحُق- بكسر الحاء وضمها- حقاً وحقوقاً: صار حقاً وثبت واستقر...

والحق واحد الحقوق. وفي الحديث: إن الله أعطي كل ذي حق حقه ولا وصية لوارث أي أعطي كل ذي حقه حظه ونصيبه الذي فرض له.

وتحقق عنده الخبر أي صح. وحقق قوله وظنه تحقيقاً أي صدق. وكلام محقق أي رصين. اهـ [(١)]

وقال الراغب: أصل الحق المطابقة والموافقة كمطابقة رِجْل الباب في حَقِّه لدورانه علي استقامة. والحقّ يقال علي أربعة أوجه:

الأول: يقال لموجد الشئ بسبب ما تقتضيه الحكمة، ولهذا قيل في الله تعالي هو الحق قال ﷻ: ﴿ثُمَّ رُدُّواْ إِلَى اللَّهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ﴾ [(٢)]

والثاني: يقال للموجَد بحسب مقتضي الحكمة، ولهذا يقال فعل الله تعالي كله حق، قال ﷻ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاء وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [(٣)]

والثالث: في الاعتقاد للشئ المطابق لما عليه ذلك الشئ في نفسه كقولنا: اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق قال ﷻ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [(٤)]

والرابع: للفعل والقول بحسب ما يجب، وبقدر ما يجب، وفي الوقت الذي يجب كقولنا: فعلك حق، وقولك حق، قال ﷻ: ﴿كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [(٥)]

والحقيقة تستعمل تارة في الشئ الذي له ثبات ووجود كقوله ﷺ لحارثة: لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ [(٦)] أي ما الذي ينبئ عن كون ما تدّعيه حقاً، وفلان يحمي حقيقته أي ما يحق عليه أن يحمي. وتارة تستعمل في

(١)لسان العرب: (حق) والحديث أخرجه الترمذي في ك الوصايا ب لا وصيه لوارث: ٤/ ٤٣٣.

(٢)سورة الأنعام الآية : ٦٢.

(٣)سورة يونس الآية : ٥.

(٤)سورة البقرة الآية: ٢١٣.

(٥)سورة يونس الآية: ٣٣.

(٦)تفسير ابن كثير: ٢/ ٢٨٦.

الاعتقاد كما تقدم. وتارة في العمل وفي القول فيقال: فلان لفعله حقيقة إذا لم يكن مرائياً فيه، ولقوله حقيقة إذا لم يكن مترخصاً ومستزيداً.

وأما في تعارف الفقهاء والمتكلمين فهي اللفظ المستعمل فيما وضع له في أصل اللغة. اهـ [1]

تعريف الحق اصطلاحاً:

عرفه القاضي حسين المروزي الشافعي بأنه: اختصاص مُظهرٌ فيما يقصد له شرعاً. وهذا التعريف له أهمية من عدة أمور:

الأولي: أنه عرف الحق بأنه اختصاص، وهو تعريف يبرز ماهية الحق بشكل يميّزه عن غيره من الحقائق الشرعية الأخرى.

الثانية: أن وصف هذا الاختصاص بأنه مُظهرٌ فيما يقصد له يوضح أن طبيعة هذا الاختصاص تقوم علي وجود آثار وثمار يختص بها صاحب الحق دون غيره في الأشياء التي شرع الحق فيها، وهذه الأشياء قد تكون مادية وقد تكون معنوية.

الثالثة: أنه يدل علي أن فقهاء الشريعة قاموا بتعريف الحق تعريفاً صحيحاً.

الرابعة: أن الفقه الإسلامي سبق علماء القانون في تعريف الحق بأنه اختصاص وهذا يدل علي سمو الفقه الإسلامي وكماله. [2]

من تعريفات المحدثين للحق

١- عرفه الدكتور محمد يوسف موسي بأنه: مصلحة ثابتة للفرد أو المجتمع أولهما يقررها الشارع الحكيم. [3]

٢- وعرفه الشيخ علي الخفيف بأنه: ما ثبت بإقرار الشارع وأضفي عليه حمايته. [4]

٣- وعرفه الشيخ مصطفي الزرقا بأنه: اختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليفاً. [5]

٤- وفي بحث بعنوان: نظرية الحق للدكتور أحمد فهمي أبو سنة، قال: الحق في لغة العرب هو

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ص١٢٥: ١٢٦ (حق).

(2) نقلاً عن الملكية في الشريعة الإسلامية اد/ عبد السلام العبادي: ١/ ٩٦: ٩٧.

(3) الفقه الإسلامي د/ محمد يوسف موسي: ص ٢١٠.

(4) الملكية في الشريعة للشيخ علي الخفيف: ٦/١.

(5) المدخل إلي نظرية الالتزام: ص ١٠.

الثابت، وفي عرف الفقهاء هو ما ثبت في الشرع للإنسان أو لله تعالي علي الغير. [1]

هذا... وقد ورد لفظ (الحق) في القرآن الكريم ١٩٤ أربع وتسعون ومائة مرة، ولفظ (حق) ٣٣ ثلاثة وثلاثون مرة، ولفظ (حقاً) ١٧ سبع عشرة مرة ، ولفظ (حقه) ثلاث مرات . [2]

استعمالات الحق في القرآن الكريم

ثراء اللغة العربية وشموها ليس نتاج جملتها ومجموع ألفاظها فحسب بل ثراء مفرداتها، إذ أن كثيراً من مفردات اللغة العربية ثرية بالمعاني والمدلولات المتعددة والمختلفة بحيث يمكن التعبير باللفظ الواحد عن معاني مختلفة فضلاً عن أن كل معني من هذه المعاني له لفظ خاص به أو يدل علي معاني أخري غيره.

وقد نزل القرآن بلسان عربي مبين فجاء تعبيره عن المعني الواحد حيناً بألفاظ مختلفة وعبارات متنوعة، وعبّر بلفظ واحد أيضاً عن معاني متعددة وفي هذا فضلاً عن الصور البيانية، والوجوه البلاغية، دفع للملل والسأم وإظهاراً للعبارة بمظهر الجدة. [3]

وتوسع القرآن في ذلك وجاوز قدرة أهل اللغة أنفسهم وعجزوا عن مجاراته فكان كما قال الزركشي رحمه الله من أنواع معجزات القرآن الكريم. [4]

ولا يجوز لأحد أن يفسّر القرآن الكريم إلا إذا كان لديه معرفة بالأدوات التي يحتاج إليها المفسر ويعلم مدلول كل لفظ ويعرف معناه ويدرك استعمالات الألفاظ، بل لابد من فهم ذلك وإدراكه لما يترتب عليه من اختلاف في فهم العقيدة الصحيحة، واستنباط الأحكام الشرعية، وإلا فقد أخطأ الفهم وبعد عن الصواب وتجرأ علي القول في كتاب الله ﷻ بغير علم.

ومن هنا فقد قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنك لا تفقه كل الفقه حتى تري للقرآن وجوهاً قال حماد: فقلت

(1) الفقه الإسلامي أساس التشريع: ص١٧٣ فما بعدها من منشورات المجلس الأعلى سنة ١٩٧١م.

(2) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، ومعجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية مادة(ح ق ق).

(3) بحوث في أصول التفسير ومناهجه اد/ فهد بن عبد الرحمن الرومي: ص١٣٠ ط مكتبة التوبة.

(4) البرهان في علوم القرآن: ١/ ١٠٢.

لأيوب: أهو أن يري لـه وجوهـا فيهاب الإقدام عليه؟قال:نعم،هو هذا.[١]

وهذه الوجوه كانت معلومة عند الصحابة رضي الله عنهم ولهذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لابن عباس رضي الله عنهما حين بعثه إلي الخوارج: اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة.[٢]

ولقد بحث علماء التفسير في المفردات القرآنية، ومنهم من خص الوجوه والنظائر[٣] في القرآن الكريم بمؤلفات تبحث في الألفاظ التي تستعمل بمعني واحد، والألفاظ المشتركة التي تستعمل في معان متعددة، تجمع هذه المعاني علاقة عامة، ومن ذلك كلمة (الحق) موضوع البحث.

قال أبو عبد الله الحسين بن محمد الدامغاني (ت٤٧٨هـ) : تفسير الحق علي اثني عشر وجهاً ـــ الله * القرآن* الإسلام * العدل * التوحيد * الصدق * وجب * الحق بعينه * المال * أولي * الحظ * الحاجة .[٤]

فوجه منها: الحق هو: الله فذلك قوله ﷻ في المشركين: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾[٥] يقول: ولو اتبع الله أهواء المشركين لفسدت السموات والأرض لفساد أهوائهم.

والوجه الثاني: الحق: القرآن فذلك قوله ﷻ : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾[٦]

والوجه الثالث: الحق يعني: الإسلام، فذلك قوله ﷻ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ

---

(١)مفتاح السعادة طاش كبري زادة: ٢/ ٤١٥. وانظر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ٢/ ٥٦. والطبقات الكبرى لابن سعد: ٢/ ٣٥٧ والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ٥/ ١٥٩.

(٢)انظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ١٤٢.

(٣)الوجوه لغة جمع وجه، ووجه كل شئ مستقبله. ووجه الكلام السبيل الذي تقصده به. والنظائر لغة جمع نظيرة، وهي المثل والشبه في الأشكال، الأخلاق، الأفعال، الأقوال ـــ لسان العرب : ٥/ ٢١٩، ١٣/ ٥٥٥:٥٥٦. قال الزركشي الوجوه:اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة. والنظائر : كالألفاظ المتواطئة . البرهان ١/ ١٠٢.

(٤)الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز: / ٢٨٤ تحقيق محمد الزفيتي ط القاهرة ١٩٩٦م.

(٥)سورة المؤمنون الآية: ٧١.

(٦)سورة الزخرف الآيتان: ٢٩، ٣٠.

الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾[١]

فالحق :الإسلام، والباطل: الشرك وعبادة الشيطان.

والوجه الرابع: الحق:العدل، فذلك قوله ﷻ: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ يعني: حسابهم العدل ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[٢] يعني: العدل المبين.

والوجه الخامس: الحق يعني: التوحيد فذلك قوله ﷻ: ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[٣] يعني: جاء بالتوحيد.

والوجه السادس: الحق يعني: الصدق فذلك قوله ﷻ : ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً وَعْدَ اللَّهِ حَقّاً ﴾[٤] يعني: صدقاً في المرجع إليه سبحانه. وقوله ﷻ : ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ ﴾[٥] يعني: الصدق.

والوجه السابع: الحق يعني: وجب عليهم القول فذلك قوله ﷻ : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴾[٦] أي: وجب عليهم القول، وقوله ﷻ: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾[٧] يعني: وجبت كلمة العذاب مني.

والوجه الثامن: الحق بعينه الذي ليس بباطل، كقوله ﷻ : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ ﴾[٨] أي: وغيره من الآلهة باطل.

والوجه التاسع: الحق يعني: المال، كقوله ﷻ: ﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ يعني: المال، ومثله قوله ﷻ: ﴿فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾[٩].

والوجه العاشر: أحق يعني: أولي كقوله ﷻ: ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾[١٠] يعني: أولي.

والوجه الحادي عشر: الحق يعني: الحظ ، كقوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾[١١] يعني: حظا.

---

(١)سورة الإسراء الآية: ٨١.

(٢)سورة النور الآية: ٢٥.

(٣)سورة الصافات الآية: ٣٧.

(٤)سورة يونس الآية: ٤.

(٥)سورة الأنعام الآية: ٧٣.

(٦)سورة الأحقاف الآية: ١٨.

(٧)سورة السجدة الآية: ١٣.

(٨)سورة الحج الآية: ٦٢.

(٩)سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(١٠)سورة البقرة الآية: ٢٤٧.

(١١)سورة المعا رج الآية: ٢٤.

والوجه الثاني عشر: الحق يعني: الحاجة، كقوله ﷻ إخباراً عن قوم لوط: ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ (١) يعني: من حاجة. (٢)

والعلاقة العامة والجامعة لكل هذه الوجوه: الإيضاح والتبيين.

(١)سورة هود الآية: ٧٩.

(٢)انظر المصدر السابق: ١/ ٢٨٤ فما بعدها، والأشباه والنظائر في القرآن لمقاتل بن سليمان البلخي: ص ١٧٥: ١٧٨ تحقيق د/ عبد الله شحاته.

التفسير والبيان

الوجه الأول:

الحق يعني: الله ﷻ

الله (الحق) هو الموجود حقاً، وهذه الصفة يستحقها بذاته. (٣)

فالله جلّ جلاله وتقدس في علاه حقيقة هائلة كبري، بل إنه أكبر الحقائق التي تملأ هذا الوجود برمته.

وهي حقيقة تدركها الأبصار والأذهان، ويحسها الطبع والفطرة بغير أناة ولا تردد إلا أن يكون الطبع سقيماً فيه اعوجاج أو تكون الفطرة مريضة تعطلت فيها المسالك والأسباب فأحجمت عن الفاعلية والاستيعاب.

إن حقيقة هذا الوجود للإله الحق مالك الملك والملكوت لهي من الجلاء والاستبانة والسطوع ما ينطق بها نطقاً يدنو دونه كل دليل أو برهان.

ولا يأتي المتفكرون والذاكرون ببرهان علي تجلية هذه الحقيقة إلا وتغمرهم آيات وجوده ﷻ بما يعزّ علي العادّين أن يُحصوا هذه الآيات عداً.

فهي حقيقة تتجلي للناظرين والمتفكرين والذاكرين وهم يتفكرون في كل جزء

(٣)الاعتقاد والهداية إلي السبيل الرشاد للإمام البيهقي: ص ٤٧.

من أجزاء الكون المتسع الرحيب، وكل جزء فيه صغيراً كان أم كبيراً ليزجي بالبرهان المشهود علي وجود الإله الحق المعبود، وليس علي الإنسان حيال هذه الحقيقة إلا أن يديم التفكير في أجزاء الكون وفي هذا الملكوت ليعي بذهنه وتصوره وقلبه أن الله حق وأنه موجد الوجود ﷻ.

قال ﷻ: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ ۞ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (١)

الشاهد في الآيتان قوله ﷻ: ﴿ فَذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ﴾ أي فذلكم الذي يفعل هذه الأفعال هو ربكم المتصف بأنه الحق لا ما جعلتموه شركاء له. (٢)

والمعني: قل يا أيها الرسول: لهؤلاء المشركين مع الله ﷻ غيره: من يرزقكم من المساء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن...؟ أم من يملك السمع والأبصار؟ أم هي المنقطعة بمعني بل — للإضراب الانتقالي من سؤال إلي سؤال — أي من يستطيع ملكهما وتسويتهما علي هذه الصفة العجيبة والخلقة الغريبة حتى ينتفعوا بهما هذا الانتفاع العظيم، ويحصلون بهما من الفوائد مالا يدخل تحت حصر الحاصرين، ولقد خص السمع والبصر لأنهما طريق العلم والإدراك.

ومن يخرج الحي من الميت، ويخرج الميت من الحي، ومن يدبر الأمر يقدّره ويقضيه، وهذا من عطف العام علي الخاص لأنه قد عمّ ما تقدم وغيره فسيكون جوابهم علي هذه الاستفهامات الخمسة: أن الفاعل لذلك كله هو الله سبحانه إن أنصفوا وعملوا علي ما يوجبه الفكر الصحيح والعقل السليم.

فقيل لهم: أتعلمون ذلك فلا تتقون وتفعلون ما يوجبه هذا العلم من تقوي الله الذي يفعل هذه الأفعال، ولا تتقون عقابه لكم عن شرككم وعبادتكم لغيره مما لا يملك نفعاً ولا ضراً.!!

وإذا كان الله ﷻ هو ربكم الحق الذي لا ريب فيه المستحق للعبادة دون سواه فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!!! فإن ثبوت ربوبية الرب ﷻ حق بإقرارهم

(١)سورة يونس الآيتان: ٣١ ، ٣٢.

(٢)فتح القدير للشوكاني: ٢/ ٥٥٠.

فكان القول بألوهية غيره باطل، وعبادة سواه ضلال، وإذا كان الأمر كذلك فكيف تستجيزون العدول عن الحق إلي غيره؟!(١)

ولكنهم يفعلون كل هذا وغيره من أجل عقولهم المعطلة، وقلوبهم المريضة وأهوائهم الفاسدة.

قال ﷻ: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢)

جملة ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ مستأنفة مسوقة لبيان أنه لو جاء الحق علي ما يهوونه ويريدونه لكان ذلك مستلزماً للفساد العظيم، وخروج نظام العالم عن الصلاح بالكلية، وهو معني قوله ﷻ: ﴿ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾.

قال مجاهد، وابن جريج، والسدي وآخرين: الحق هو الله ﷻ.

والمعني: لو جعل من نفسه كما يحبون شريكاً لفسدت السموات والأرض، وسبب فساد المكلفين من بني آدم ظاهر، وهو ذنوبهم التي من جملتها الهوى المخالف للحق، وأما فساد ما عداهم فعلي وجه التبع لأنهم مدبرون في الغالب بذوي العقول فلما فسدوا فسدوا.

ثم ذكر سبحانه أن نزول القرآن عليهم من جملة الحق فقال: ﴿ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ ﴾ والمراد بالذكر هنا القرآن: أي بالكتاب الذي هو فخرهم وشرفهم في الدنيا والآخرة ﴿ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ أي هم بما فعلوا من الاستكبار والنكوص عن هذا الذكر المختص بهم معرضون لا يلتفتون إليه بحال من الأحوال.(٣)

ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٤)

وقوله ﷻ: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٥)

ألا فليتق الله ﷻ أولئك الكفرة والمشركين ومن سار في ركابهم، ولا

(١)انظر المصدر السابق: ٢/ ٥٤٩: ٥٥٠.

(٢)سورة المؤمنون الآية: ٧١.

(٣)انظر المصدر السابق: ٣/ ٦١٣: ٦١٤وزاد المسير لابن الجوزي: ٥/ ٤٨٤.

(٤)سورة الأنبياء الآية: ٢٢.

(٥)سورة المؤمنون الآية: ٩١.

فقد تولي الله ﷻ الخلق بحكمه القدري، فنفذ فيهم ما شاء من أنواع التدبير. ثم تولاهم بأمره ونهيه، وأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب. ثم ردّوا إليه ليتولي الحكم فيهم بالجزاء، ويثيبهم علي ما عملوا من الخيرات، ويعاقبهم علي الشرور والسيئات، ولهذا قال ﷻ: ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ لكمال علمه وحفظه لأعمالهم، بما أثبته في اللوح المحفوظ ، ثم أثبته ملائكته في الكتاب الذي بأيديهم. يحاسب الكل في أقل وقت وأسرعه لا يشغله شأن عن شأن.

وإذا كان الله عزّ شأنه هو المنفرد بالخلق والتدبير، وهو القاهر فوق عباده، وقد اعتني بهم كل الاعتناء في جميع أحوالهم، وهو الذي له الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، فأين للمشركين، العدول عن من هذا وصفه ونعته، إلي عبادة من ليس له من الأمر شئ، ولا عنده مثقال ذرة من النفع، ولا له قدرة وإرادة؟!

أما والله لو علموا حلم الله عليهم، وعفوه ورحمته بهم، وهم يبارزونه بالشرك والكفران، ويتجرؤون علي عظمته بالإفك والبهتان، وهو يعافيهم ويرزقهم يعتقدوا بل ولا يقولوا علي الله إلا القول الحق دون القول الباطل المتضمن لدعوي الاتحاد والحلول واتخاذ الصاحبة والولد، وينتهوا عما هم عليه إلي خلافه، وهو التوحيد والإيمان لأنه طريق النجاة، وما سواه طريق الهلاك.

قال ﷻ: ﴿ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) فالمردّ والمرجع إليه سبحانه وسيجازي كل إنسان بعمله.

قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۝ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٢)

الشاهد في الآيات قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ أي ردّوا بعد الحشر إلي الله: أي إلي حكمه وجزائه ﴿ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ أي مالكهم الذي يلي أمورهم.(٣)

(١)سورة المائدة الآية: ٧٣.

(٢)سورة الأنعام الآيات: ٦٠: ٦٢.

(٣)فتح القدير: ٢/ ١٥٦.

لانجذبت دواعيهم إلي معرفته، وذهلت عقولهم في حبه، ولمقتوا أنفسهم أشد المقت حيث انقادوا لداعي الشيطان، الموجب للخزي والخسران، ولكنهم قوم لا يعقلون.(١)

إلي غير ذلك من الآيات التي وردت في بيان أن الله ﷻ هو الحق.

الوجه الثاني:

الحق: القرآن

القرآن الكريم هو كتاب الله الحق، المنزل علي خاتم الأنبياء محمد ﷺ تحدي الله به الإنس والجن فعجزوا عن الإتيان بمثله أو جزئه أودع فيه ﷻ علم كل شئ، وأبان فيه كل هدي وغيّ، فـري كل فن فيه يستمد، وعليه يعتمد، بهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته علي كل مقول. فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرّفه بأبدع معني وأفصح أسلوب، لا يستقصي معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه علي الإطلاق ذو اللسان الطلق.(٢)

فطوبي لمن جعل القرآن الكريم مصباح قلبه ومفتاح لبه، فلقد أرسل النبي المجتبي والرسول المرتضي ﷺ بالكتاب الحق قال ﷻ: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾(٣)

والمعني: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ ﴾ لأن تبشر من أطاع وتنذر من عصي لا لتجبر علي الإيمان، وهذه تسلية للرسول ﷺ وتسرية عنه، لأنه كان يغتم ويضيق صدره الشريف، لإصرارهم وتصميمهم علي الكفر. وقوله: ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي ملتبسا مؤيداً به، وفسر الحق بالقرآن أو بالإسلام وبقاؤه علي العموم أولي ـ كما يقول الألوسي ـ ﴿ وَلاَ تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴾ تذييل معطوف علي ما قبله، أو اعتراض أو حال أي أرسلناك غير مسئول عن أصحاب الجحيم ما لهم لم يؤمنوا بعد أن بلغت ما أرسلت به وألزمت الحجة عليهم؟!(٤)

وكل ما تضمنه القرآن حقّ لا ريب فيه لأن نزوله بالحق، وآياته هي حجج الله وبراهينه قال ﷻ: ﴿ إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٥)

(١) انظر تفسير السعدي: ص٢٢١.
(٢) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي: ١/ ٤: ٥.
(٣) سورة البقرة الآية: ١١٩.
(٤) انظر روح المعاني: ١/ ٣٧٠.
(٥) سورة آل عمران الآية: ٦٢.

فالإشاره في قوله: ﴿ إِنَّ هَـذَا ﴾ إلي القرآن وما فيه من الأقاصيص سميت قصصاً لأن المعاني تتابع فيها، فهو من قولهم: فلان يقصّ أثر فلان أي: يتبعه، وضمير الفصل للحصر، ودخول اللام عليه لزيادة تأكيده.(١)

وقال ﷻ: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾(٢)

قال ابن الجوزى: قوله: ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ ﴾ الهاء كناية عن القرآن والمعني: أنزلنا القرآن بالأمر الثابت والدين المستقيم، فهو حقّ، ونزوله حقّ، وما تضمنه حقّ.اهـ(٣)

وقال ﷻ: ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾(٤)

والناس أمام تلك الآيات فريقان. قال ﷻ مفرقاً بين أهل العلم والعمل وبين ضدهم: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾(٥)

فالهمزة في قوله: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ ﴾ للإنكار علي من يتوهم المماثلة بين من يعلم أنّ ما أنزله الله ﷻ إلي رسوله ﷺ من الحق الذي لا شك فيه، ولا شبهة وهو القرآن الكريم، وبين من هو أعمي لا يعلم ذلك، فإن الحال بينهما متباعد جداً كالتباعد الذي بين السماء والأرض، ثم بين ﷻ أنه إنما يقف علي تفاوت المنزلتين، وتباين الرتبتين أهل العقول الصحيحة فقال ﷻ: ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾

أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة في قوله ﷻ: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَبِّكَ الْحَقُّ ﴾ قال: هؤلاء قوم انتفعوا بما سمعوا من كتاب الله وعقلوه ووعوه ﴿ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى ﴾ قال: عن الحق فلا يبصره ولا يعقله ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ ﴾ فبين من هم؟ فقال: ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ ﴾(٦)

فحريّ بالعبد أن يتذكر ويتدبر، أي الفريقين أحسن مآلاً، وخير مالاً، فيؤثر

(١) انظر تفسير القرطبي: ٥/ ١٦٠ ط مؤسسة الرسالة وفتح القدير: ١/ ٤٤٠.
(٢) سورة الإسراء الآية: ١٠٥.
(٣) زاد المسير لابن الجوزى: ٥/ ٩٦.
(٤) سورة الجاثية الآية: ٦.
(٥) سورة الرعد الآية: ١٩.
(٦) انظر فتح القدير: ٣/ ٩٧: ٩٨.

طريقها، ويسلك خلف فريقها، ولكن ليس كل إنسان يتذكر ما ينفعه ويضره.

ومن هنا نجد الجدال بالباطل والتعنت من أولئك الكفرة والمشركين وغيرهم

قال ﷻ: ﴿ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴾ (١)

الشاهد في الآيتان قوله ﷻ: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ﴾ أي فلما جاء أهل مكة الحق من عندنا، وهو القرآن الذي أوحيناه إليكم قالوا: تعنتاً منهم وجدالاً بالباطل: هلا أوتي هذا الرسول مثل ما أوتي موسي من قبل كالعصا واليد وغير ذلك من الآيات التي من جملتها التوراة المنزلة عليه جملة واحدة ... عجباً لهؤلاء المشركين! أولم يكفروا بما أوتي موسي من قبل ولم يؤمنوا به.

وقيل المعني: فلما جاء أهل الكتاب الحق والقول الصدق علي يد النبي محمد ﷺ، وكانوا يستفتحون به علي الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسي، عجباً لهم! أولم يكفروا بموسي ومن معه، ويقولون ساحران أي: موسي وهارون تظاهرا وتعاونا، وإنا بكل كافرون. وإن أرجعنا القول إلي الكفار من العرب ـــ والآية تحتمل هذا وذاك ـــ كان المراد بقوله: ﴿سِحْرَانِ﴾ أي موسي ومحمد وقالوا إنا بكل كافرون. (٢)

ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ (٣)

قال الشوكاني: ذكر سبحانه نعمته علي قريش ومن وافقهم من الكفار المعاصرين لهم فقال: ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ ﴾ أضرب عن الكلام الأول (٤)

---

(١) سورة القصص الآيتان: ٤٧، ٤٨.

(٢) انظر التفسير الواضح اد/ محمد محمود حجازي: ٢/ ٨٣٥ : ٨٣٦.

(٣) سورة الزخرف الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٤) وهو قوله ﷻ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۝ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الزخرف الآيات: ٢٦: ٢٨.
علي معني: بل أعطيتهم نعماً أخري غير الكلمة الباقية ليشكروا الله تعالي ويوحدوه، ولكنهم لم يفعلوا ذلك بل زاد طغيانهم لغرورهم بالدنيا وتمسكهم بحبها.

إلي ذكر ما متعهم به من الأنفس، والأهل والأموال وأنواع النعم وما متع به آباءهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، فاغتروا بالمهلة وأكبوا علي الشهوات ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ يعني القرآن ﴿ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴾ يعني محمداً ﷺ ومعني ﴿ مُّبِينٌ ﴾ ظاهر الرسالة واضحها، أو مبيّن لهم ما يحتاجون إليه من أمر الدين فلم يجيبوه ولم يعملوا بما أنزل عليه.

ثم بين ﷻ ما صنعوه عند مجئ الحق فقال: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴾ أي جاحدون، فسموا القرآن سحراً وجحدوه. (١)

وذلك من أعظم المعاندة والمشاقة حيث ضمّوا إلي كفرهم القول علي القرآن تارة إنه سحر، وتارة أنه أساطير الأولين، وتارة اختلقه محمد ﷺ من عند نفسه، لا يثبتون علي شئ، ولا يستقر لهم قرار، إلي غير ذلك من الأقوال الفاسدة التي قالوها ظلماً وكذباً، وقد ردّها الحق ﷻ عن القرآن الكريم.

قال ﷻ: ﴿ الم ۝ تَنزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ (٢)

يخبر الله ﷻ أن هذا الكتاب المتلو، تنزيل من رب العالمين، الذي ربّاهم بنعمته. ومن أعظم ما ربّاهم به هذا الكتاب الكامل. الذي فيه كل ما يصلح به أحوالهم، ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه، ولا شك، وليس بكذب، ولا سحر، ولا كهانة، ولا أساطير الأولين، ومع ذلك قال المكذبون للرسول ﷺ الظالمون في ذلك: افتراه محمد ﷺ واختلقه من عند نفسه، وهذا من أكبر الجراءة علي إنكار كلام الله تعالي، ورمي النبي ﷺ بأعظم الكذب.

و﴿أَمْ﴾ في قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ هي المنقطعة التي بمعني بل والهمزة: أي بل أيقولون هو مفتري فأضرب عن الكلام الأول إلي ما هو معتقد الكفار مع الاستفهام المتضمن للتقريع والتوبيخ، ومعني: ﴿افْتَرَاهُ﴾ افتعله واختلقه. ثم أضرب عن معتقدهم إلي بيان ما هو الحق في شأن الكتاب فقال: ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فكذبهم ﷻ في دعوي الافتراء. (٣)

---

(١) فتح القدير: ٤/ ٦٨٥.

(٢) سورة السجدة الآيات: ١: ٣.

(٣) المصدر السابق: ٤/ ٣٠٦.

وذلك لأن القرآن هو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الحق لما فيه من الحق والصدق، ولما فيه من تفسير للكون، وما فيه من ربط دقيق محكم بين الإنسان وهذا الكون، وهو الحق لخلوه من الظلم.

ثم بين العلة التي كان التنزيل لأجلها فقال ﷻ: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴾ وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم رسول فلم يكن بين إسماعيل عليه السلام ومحمد ﷺ نبي ﴿ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ رجاء أن يهتدوا.

ومثل ذلك قوله ﷻ: ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾(١)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ يعني: بالقرآن لما جاءهم.

قال الشوكاني: والمراد بالحق هنا القرآن. قال الماوردي في قول الجميع، وقيل: هو الإسلام، وقيل: محمد ﷺ، وقيل: النبوة الثابتة بالمعجزات. اهـ(٢)

ولا مانع من كل هذه المعاني فمن يكذب بالنبوة فإنما يكذب بالنبي ﷺ وما جاء به، والقول الأول يؤيده أول آيات السورة التي يقسم ﷻ فيها بالقرآن المجيد. والإضراب الذي أفاده لفظ بل جاء بعد الإضراب الأول للدلالة علي أنهم جاءوا بأفظع وأشنع من تعجبهم السابق بالإنذار.

إلي غير ذلك من الآيات التي وردت في بيان أن القرآن هو الحق.

الوجه الثالث:

الحق يعني: الإسلام

لما كان الله ﷻ هو الحق، وكتابه الخالد هو الحق، فدينه الإسلام كذلك هو الدين الحق المرضي له ﷻ قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(٣)

أي لا دين مرضياً لله تعالي سوي الإسلام الذي هو التوحيد والتدرع بالشريعة الشريفة.(٤)

وهذا الدين العظيم يقوم علي توحيد الله ونفي الشرك كما قال

(١) سورة ق الآيات: ١: ٣.

(٢) المصدر السابق: ٥/ ٨٨.

(٣) سورة آل عمران الآية: ١٩.

(٤) تفسير أبي السعود: ٢/ ١٨.

ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(١)

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أولي بعيسي ابن مريم في الدنيا والآخرة: والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتي ودينهم واحد".(٢)

فالإسلام هو دين الله ﷻ الذي بعث به الرسل جميعاً من لدن نوح عليه السلام إلي خاتم الأنبياء محمد ﷺ قال ﷻ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾(٣)

ومع أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً فقد تعارف الناس علي أن كلمة الإسلام يقصد بها اليوم الدين الذي أنزل علي محمد ﷺ.(٤)

والمعرض عن الإسلام والطالب لغيره فاقد للنفع واقع في الخسران، بإبطال الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

قال ﷻ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٥)

وقال ﷻ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٦)

وفي ذلك إبطال لجميع الأديان غير الإسلام.(٧)

والإسلام دين شامل متكامل يتناول كل جوانب الخير للناس في جميع شئون الحياة سواء أكان ذلك في أمور العقيدة أم العبادات أم الأخلاق أم المعاملات كما يتناول جانب الروح والمادة بحيث يطغي جانب علي آخر لأنه الدين الموصوف بالحق.

قال ﷻ: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً ﴾(٨)

(١) سورة الأنبياء الآية: ٢٥.

(٢) فتح الباري ك الأنبياء ب "واذكر في الكتاب مريم" وبنو العلات أولاد الرجل من نسوة شتي.

(٣) سورة الشورى الآية: ١٣.

(٤) انظر دقائق التفسير لابن تيمية: ٢/ ١٠٤ فما بعدها ، وجامع الرسائل: ١/ ٢٨٣: ٢٨٤.

(٥) سورة الروم الآية: ٣٠.

(٦) سورة آل عمران الآية: ٨٥.

(٧) كتاب التسهيل لابن جزي: ١/ ٢٠٠.

(٨) سورة الفتح الآية: ٢٨.

والمعني: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ يعني: محمداً ﷺ ﴿بِالْهُدَى﴾ أي إرسالا ملتبساً بالهدي مصاحباً للهدي يهدي من الضلالة، ويبين طرق الخير والشر ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ وهو الإسلام فهو الدين الموصوف بالحق والعدل والرحمة وهو: كل عمل مُزكٍ للقلوب، مُطهر للنفوس، مُربٍ للأخلاق، مُعلٍ للأقدار ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي يعليه علي كل الأديان بالحجة والبرهان، وقد كان ذلك بحمد الله فإن دين الإسلام قد ظهر علي جميع الأديان وانقهر له كل أهل الملل، فالدين اسم بمعني المصدر ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه، ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾ علي هذا الإظهار الذي وعد المسلمين به، وعلي صحة نبوة نبيه ﷺ.(١)

إن هذا الإظهار والإعلاء لدين الله ﷻ لا يطيقه المبطلون والمفسدون لأن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين في كل حين، فهو من القوة والمتانة بحيث يخشاه كل مبطل، ويرهبه كل باغ، ويكرهه كل مفسد.(٢)

قال ﷻ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٣)

وإن هذا الدين العظيم جدّ وقد جاء ليحكم الحياة، وليعبّد الناس لله وحده، وينتزع من المغتصبين لسلطان الله هذا السلطان، فيرد الأمر كله إلي شريعة الله ﷻ لا إلي اشتراع البشر.

قال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(٤)

الشاهد في الآية قوله ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ يعني إلي دين الإسلام.(٥)

والمعني: قل لهم يا محمد هل من شركائكم من يرشد إلي دين الإسلام؟ ويدعوا الناس إلي الحق والخير؟! فإذا قالوا: لا، ولا بد منه فقل لهم الله

(١) انظر تفسير القرطبي: ١٩/ ٣٣٩: ٣٤٠ وفتح القدير: ٥/ ٦٨ وتفسير السعدي: ٧٣٩.

(٢) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن أ/ أحمد فائز: ١/ ٨١. ط مؤسسة الرسالة ١٩٨٥م.

(٣) سورة التوبة الآيتان: ٣٢، ٣٣.

(٤) سورة يونس الآية: ٣٥.

(٥) تفسير القرطبي: ١٠/ ٤٤٩.

يهدي للحق، ثم قل موبخاً ومقرراً أفمن يرشد إلي الحق وهو الله ﷻ أحق ان يتبع فيما شرعه؟ أمن لا يهتدي إلي الخير أبداً في حال من الأحوال إلا أن يُهدي؟ أن يهديه الله عز وجل وذلك كالأصنام التي لا تهتدي أبداً إلي الخير ولا تهدي إلي الخير، وأما عزير والمسيح والملائكة فتهدي إلي الخير ولكن بهداية الله ﷻ وهذا معني قوله: ﴿إِلاَّ أَن يُهْدَى﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا تعجيب من حالهم باستفهامين متواليين: أي: أي شئ أصابكم؟ وماذا دهاكم؟ كيف تحكمون لأنفسكم، وتقضون بهذا الباطل الصراح، باتخاذ هؤلاء شركاء لله، بعد ظهور الحجة والبرهان، فإنه لا يستحق العبادة إلا الله وحده، وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ.(١)

ومن أجل كل هذا وغيره فقد أمر الله ﷻ بمقاتله المشركين إلي غاية هي ألا تكون فتنة، وأن يكون الدين لله تعالي. قال ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(٢)

وقال ﷻ: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٣)

فسر جمهور السلف ﵏ الفتنة المذكورة هنا بالكفر.(٤)

قال ابن القيم: والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة الله هي العليا ويكون الدين كله لله ... فإن من كون الدين كله لله إذلال الكفر وأهله وصغاره، وضرب الجزية علي رؤوس أهله، والرق علي رقابهم فهذا من دين الله، ولا يناقض هذا إلا إذا ترك الكفار علي عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة اهـ.(٥)

ولقد امتثل الرسول الكريم ﷺ لأمر ربه وقاتل المشركين في جزيرة العرب علي الإسلام، ولم يقبل منهم غيره، وقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم مذللون حيث كان كثير منهم يتمني صدّ المؤمنين عن هذا الدين الذي بعث به رسول الله ﷺ من عند الله ﷻ.

(١) انظر المصدر السابق، وفتح القدير: ٢/ ٥٥١.

(١) (٢) سورة البقرة الآية: ١٩٣.

(٣) سورة الأنفال الآيتان: ٣٩: ٤٠.

(٤) انظر فتح القدير: ٢/ ٣٨٤، تفسير ابن كثير: ١/ ١٩٨: ١٩٩.

(٥) أحكام أهل الذمة: ١/ ١٨.

قال ﷻ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١)

الشاهد في الآية قوله ﷻ: ﴿مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ أي: من بعد ما تبين الحق لهم، وهو محمد ﷺ، والقرآن الذي جاء به. (٢)

وقال ﷻ: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (٣)

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم علي الله تعالي (٤)

ومن المعلوم أن من أهداف الجهاد السامية والعظيمة تعبيد الناس لله وحده، وإخراجهم من العبودية للعباد إلي العبودية لرب العباد، ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام، وإزالة الطواغيت، ورد اعتداء المعتدين علي المسلمين، وحماية الدولة الإسلامية من شر الكفار والطامعين إلي غير ذلك.

ففي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ (٥) ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ (٦)

إلي غير ذلك من الآيات التي وردت في بيان أن الإسلام هو الحق.

---

(١) سورة البقرة الآية: ١٠٩.

(٢) تفسير القرطبي: ٢/ ٣١٤.

(٣) سورة التوبة الآية: ٢٩.

(٤) فتح الباري ك الزكاة ب وجوب الزكاة (١٣٩٩) وصحيح مسلم بشرح النووي ك الإمام: ١/ ٢٠٦.

(٥) سورة الإسراء الآية: ٨١.

(٦) سورة سبأ الآية: ٤٩ والحديث في فتح الباري ك التفسير ب: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ ٨/ ٢٥٢ (٤٧٢٠).

الوجه الرابع:

الحق يعني: التوحيد

إن الإسلام الحنيف من أول وهلة يهتم بغرس عقيدة التوحيد الخالص ليكون التوجه لله وحده، وليس لأحد من البشر أو المخاليق فلا يكون التوجه لصنم أو وثن، ولا لحاكم أو عظيم أو جبار، ولا لشهوة حقيرة، وشبه ذلك.

قال ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

والتوحيد مصدر وحَّد يوحِّد، أي جعل الشئ واحداً، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد، وإثباته له.

وللتوحيد بالنسبة لله ﷻ أنواع تدخل كلها في تعريف عام، وهو: إفراد الله ﷻ بما يختص به، وهذه الأنواع هي:

١- توحيد الربوبية، وهو إفراد الله تعالي بالخلق، والملك، والتدبير.

٢- توحيد الألوهية، وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة، بأن لا يتخذ الإنسان مع الله أحداً يعبده ويتقرب إليه، كما يعبد الله تعالي ويتقرب إليه، وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون.

٣- توحيد الأسماء والصفات، وهو إفراد الله ﷻ بما سمي به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو علي لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. (٢)

إن التوحيد المطلق لله ﷻ يقتضي توحيد دينه الذي أرسل به الرسل للبشر، وتوحيد رسله الذين حملوا هذه الأمانة للناس.. وكل كفر بوحدة الرسل أو وحدة الرسالة هو كفر بوحدانية الله في الحقيقة.

فاليهود كانوا يدعون الإيمان بأنبيائهم، وينكرون رسالة عيسي عليه السلام ورسالة النبي محمد ﷺ، كما كان النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسي عليه السلام فضلا عن تأليهه – وينكرون رسالة النبي محمد ﷺ كذلك.

ومن هنا فقد أنكر القرآن الكريم علي هؤلاء وأولئك هذا الصنيع، وقرر أن الإيمان الكامل إنما يكون بالله ورسله من غير تفريق.

---

(١) سورة الروم الآية: ٣٠.

(٢) انظر فقه العبادات للشيخ محمد صالح العثيمين: ص١٩ فما بعدها.

ولذلك يحشر الكفرة الظلمة وأمثالهم إلي جهنم وبئس المصير بسبب إنكارهم التوحيد والرسالة.

قال ﷻ: ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ۝ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ (١)

الشاهد في الآيات قوله ﷻ: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ ﴾ بطريق الدعوة والتلقين ﴿ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ عن القبول وعن من جاء بها.. ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ يعنون بذلك قاتلهم الله تعالي النبي ﷺ. وقد جمعوا بين إنكار الوحدانية وإنكار الرسالة.. ﴿ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ردّ عليهم وتكذيب لهم ببيان أن ما جاء به النبي ﷺ من التوحيد هو الحق الثابت الذي قام عليه البرهان، وأجمع عليه كافة المرسلين فأين الشعر والجنون من ساحته ﷺ الرفيعة الشأن.. ﴿ إِنَّكُمْ ﴾ بما فعلتم من الإشراك وتكذيب الرسول ﷺ والاستكبار ﴿ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴾ أي المؤلم الموجع، والالتفات لإظهار كمال الغضب عليهم بمشافهتهم بهذا الوعيد وعدم الاكتراث بهم وهو اللائق بالمستكبرين. (٢)

وكان من الأيسر عليهم، والأفضل لهم بدل الوصول إلي هذه النتيجة المحتومة أن يتفكروا في ما جاء به النبي ﷺ من عند ربه ﷻ ويتدبرونه، فإنهم لو تدبروه، لأوجب لهم الإيمان، ولمنعهم من الكفر، ولكن ما أصابهم بسبب كمال فسادهم، واستكبارهم عليه.

---

(١) سورة الصافات الآيات: ٢٢: ٣٨.

(٢) انظر روح المعاني للأوسي: ٢٣/ ٨٣ فما بعدها وتفسير أبي السعود: ٧/ ١٨٩.

قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۝ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (١)

ذكر ﷻ في الآيات أن سبب إقدامهم علي الكفر هو أحد هذه الأمور الأربعة:

الأول: عدم التدبر في القرآن، فإنهم لو تدبروا معانيه لظهر لهم صدقه وآمنوا به، ودلّ ذلك علي أن تدبر القرآن، يدعوا إلي كل خير، ويعصم من كل شر.

والثاني: قوله: ﴿ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ أم هي المنقطعة، وما فيها من معني بل للإضراب والانتقال من التوبيخ بما ذكر إلي التوبيخ بآخر أي: بل أجاءهم من الكتاب ما لم يأت آباءهم الأولين حتى استبعدوه فوقعوا فيما وقعوا فيه من الكفر والضلال. بمعني: أن مجئ الكتب من جهته تعالي إلي الرسل عليهم السلام لينذروا بها الناس سنة قديمة له ﷻ لا تكاد تنكر، وأن مجئ القرآن علي طريقته فلما ينكرونه؟!

والثالث: قوله: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ إضراب وانتقال من التوبيخ بما ذكر إلي التوبيخ بوجه آخر: أي بل ألم يعرفوه ﷺ بالأمانة والصدق وحسن الأخلاق إلي غير ذلك من الكمالات اللائقة بالأنبياء؟ إن هذا أمر عجيب؟

والرابع: قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ وهذا أيضاً انتقال من توبيخ إلي توبيخ آخر: أي بل أيقولون به جنة: أي جنون، مع أنهم قد علموا أنه ﷺ أرجح الناس عقلا وأثقبهم رأياً وأوفرهم رزانة، ولكنه جاء ﷺ بما يخالف هواهم فدفعوه وجحدوه تعصباً وحمية.

ثم أضرب الله ﷻ عن ذلك كله فقال: ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ أي ليس الأمر كما زعموا في حق القرآن الكريم والرسول ﷺ بل جاءهم بالحق الثابت الذي لا محيد عنه ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ يعني: للتوحيد كارهون لما في جبلتهم من كمال الزيغ والانحراف عن الصواب، والبعد عن الحق، فلذلك كرهوا هذا الحق الواضح الظاهر.

وظاهر النظم أن أقلهم كانوا لا يكرهون الحق، ولكنهم لم يظهروا الإيمان خوفاً من الكارهين. (٢)

---

(١) سورة المؤمنون الآيات: ٦٨: ٧٠.

(٢) انظر روح المعاني: ١٨/ ٥٠: ٥١ وفتح القدير: ٣/ ٦١٣.

ولقد كان المشركون مضطربي العقيدة، لا ينكرون الله، ولا ينكرون أنه الخالق المالك المدبر للسموات والأرض والمسيطر علي كل ما فيهن... ولكنهم مع ذلك يشركون معه آلهة مدعاة.

قال ﷻ: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾(١)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ الذي لا محيد عنه من التوحيد والوعد بالبعث ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما ينسبونه إلي الله ﷻ من الولد والشريك، وإنكار البعث.(٢)

إن الإلهية الحقة لله وحده لا شريك له، فهو الذي ينبغي أن يخص بالعبادة والدعاء، لأن عبادة غيره شرك، والدعاء إلي غير الله ضلال.. فلا يوجد غير الله ﷻ يستجيب.

قال ﷻ: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾(٣)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال القرطبي: أي: لله دعوة الصدق.

قال ابن عباس وقتادة وغيرهما: لا إله إلا الله، وقال الحسن: إن الله هو الحق، فدعاؤه دعوة الحق، وقيل: إن الإخلاص في الدعاء هو دعوة الحق، وقيل: دعوة الحق: دعاؤه عند الخوف؛ فإنه لا يدعي فيه إلا إياه .اهـ(٤)

والمعني: له ﷻ دعوة الحق: وهي عبادته وحده لا شريك له وإخلاص دعاء العبادة، ودعاء المسألة له تعالي، أي: هو الذي ينبغي أن يصرف له الدعاء، والخوف، والرجاء، والحب، والرغبة، والرهبة، والإنابة، لأن ألوهيته هي الحق، وألوهية غيره باطلة.

والذين يدعوهم من دونه كالأوثان والأنداد لا يستجيبون لهم بشئ لما

(١)سورة المؤمنون الآيات: ٨٤: ٩٠.

(١) (٢)انظر تفسير أبي السعود: ٦/ ١٤٨ وفتح القدير: ٣/ ٦١٨.

(٣)سورة الرعد الآية: ١٤.

(٤)تفسير القرطبي: ١٢/ ٤١: ٤٢.

يطلبونه من نفع أو إزالة ضر إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد فإنه لا يجيبه، لأنه جماد لا يعقل دعاء، ولا يشعر بحاجته إليه، ولا يدري أنه طلب منه أن يبلغ فاه.

وما دعاء الكافرين أصنامهم، وما عبادتهم لهم إلا ضلال وخسران وضياع وهلاك، لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها.

وتشبيه دعاء الكافرين لغير الله، بالذي يبسط كفيه إلي الماء ليبلغ فاه من أحسن الأمثلة، فإن ذلك تشبيه بأمر محال، فكما أن هذا محال، فالمشبه به محال، والتعليق علي المحال من أبلغ ما يكون في نفي الشئ كما قال ﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾(١)

إن كراهية القوم للتوحيد لن تنفعهم فسوف يطلب منهم الدليل علي صحة ما يدينون به ويومئذ يخسر المبطلون.

قال ﷻ: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾(٢)

والمعني: واذكر يا محمد أو يا من يتأتي له الخطاب يوم ينادي الله ﷻ هؤلاء المشركين فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون؟! وليس لله شريك ولكن ذلك بحسب زعمهم وافترائهم؟ لا بنفس الأمر كما قال ﷻ: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾(٣)

فإذا حضروا، هم وإياهم، نزع الله ﷻ من كل أمة شهيداً يشهد علي ما جري في الدنيا من شركهم واعتقادهم وضلالهم.

قال أبوالسعود: وقوله ﴿وَنَزَعْنَا﴾ عطف علي ﴿ يُنَادِيهِمْ ﴾ وصيغة الماضي للدلالة علي التحقق أو حال من فاعله بإضمار قد، والالتفات إلي نون العظمة لإبراز كمال الاعتناء بشأن الترع وتهويله أي أخرجنا من كل أمة من الأمم ﴿ شَهِيدًا ﴾ نبياً يشهد عليهم بما كانوا عليه كقوله ﷻ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن

(١)سورة الأعراف الآية: ٤٠ وانظر تفسير السعدي: ص٣٦٩.

(٢)سورة القصص الآيتان: ٧٤ ، ٧٥.

(٣)سورة يونس الآية: ٦٦.

كُلِّ أمَّةٍ بشَهيد وَجِئْنَا بكَ عَلَى هَؤُلاء شَهِيداً ﴾(١) فقلنا لكل أمة من الأمم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ علي صحة ما كنتم تدينون به ﴿فَعَلِمُوا﴾ يومئذ ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّه﴾ في الإلهية لا يشاركه فيها أحد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي غاب عنهم غيبة الضائع ﴿مَّا كَانُوا يَفْتَرُون﴾ في الدنيا من الباطل .اهـ (٢)

ألا فليتق الله أولئك الكفرة والملحدون.. فدلائل توحيد الله ظاهرة لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد. وليعلموا أن التوحيد طريق الهدي والنور.. وإنما النعمة أن يخرج القلب من ظلمات الشرك وجهالته إلي نور الإيمان بالله وتوحيده، فيخرج من التيه والحيرة والضلالة والشرود إلي الطمأنينة والمعرفة والاستقرار والهدوء.. إن الإيمان بالله وتوحيده يملأ القلب أمناً وسكينة وسلاماً، فإذا خلا القلب من الإيمان، فلا أمن ولا سكينة ولا سلام، وإنما همّ، ويأس، وقلق.. ثم انتحار أو جنون، أو ما يشبه الانتحار والجنون!! وهذا أغلب ما يعيشه عالم الغرب اليوم. نسأل الله العافية والحمد لله علي الإيمان.

(١) سورة النساء الآية: ٤١ .

(٢) تفسير أبي السعود: ٤/ ٢٤.

الوجه الخامس:
الحق يعني: العدل

للعدل مكانة عظيمة في الإسلام فهو من محاسن الأعمال، ومكارم الأخلاق وحسبنا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (٣) مؤكداً هذا الخبر التشريعي بحرف إن ومفتتحاً باسم الجلالة الذي يلقي الحرمة علي هذا الخبر، ويقوي دواعي الأمة لتلقيه والعمل به، ومخبراً عن الاسم بالجملة الفعلية المفيدة تجدد الأمر وتكرره.

والعدل مشتق من المعادلة بين شيئين فهو مقتض شيئا ثالثاً وسطاً بين طرفين لذلك كان اسم الوسط يستعمل في كلام العرب تارة مرادفاً لمعني العدل. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً﴾ قال: عدلاً، والوسط العدل.(٤)

فماهية العدل أنه تمكين صاحب الحق بحقه بيده أو بيد نائبه، وتعيينه له قولا أو فعلا. لأن العدل وضع الشئ في موضعه.

(٣) سورة النحل الآية: ٩٠.

(٤) سنن الترمذي ك التفسير والآية من سورة البقرة: ١٤٣.

وحسن العدل مستقرّ في الفطرة فإن كل نفس تنشرح لمظاهر العدل ما كانت النفوس بمعزل عن هوي يغلب عليها في قضية خاصة أو في مبدأ خاص تنتفع فيه بما يخالف العدل بدافع إحدى القوتين الشاهية والغاضبة.

فمثل هذه النفس مثل المنافقين الذين قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(١)

وقد أمر الله ﷻ بإقامة العدل أمراً عزماً بما كرر في كتابه من الآيات الآمرة بإقامة العدل المحذرة من مخالفته. فقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقَيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾(٢)

(١) سورة النور الآيات: ٤٨ : ٥٠.

(٢) سورة النساء الآية: ١٣٥.

وقال ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٣)

والعدل يتجلي في القضاء بين الناس في منازعاتهم، وفي فرض الواجبات والتكاليف عليهم، وفي التشريع لهم والإفتاء، وفي الشهادة بينهم وغير ذلك.

قال ﷻ: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۞ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۞ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۞ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ۞ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا

(٣) سورة المائدة الآية: ٨ وانظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ ابن عاشور: ص٧١.

لزُلْفَى وَحُسْنَ مَآب ۞ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾ (١)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ وقوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ فمعنى: ﴿ بِالْحَقِّ﴾ هنا: العدل.(٢)

والمراد بـ ﴿ وَلَا تُشْطِطْ ﴾ أي: لا تجر في حكمك، يقال شط الرجل أشط شططاً وإشطاطاً: إذا جار في حكمه. قال أبو عبيد: شططت عليه وأشططت: أي: جرت. وقال الأخفش: معناه لا تسرف، وقيل: لا تفرط، وقيل: لا تمل. والمعنى متقارب، والأصل فيه البُعد، من شطت الدار: إذا بعدت. قال أبو عمرو: الشطط مجاوزة القدر في كل شئ. ﴿وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ سواء الصراط: وسطه. والمعنى: أرشدنا إلى الحق واحملنا عليه.(٣)

والمقصود من الجملة الكريمة، أن الخصمين قد عرفا أن قصدهما الحق الواضح الصرف، وإذا كان ذلك كذلك، فسيقصان عليه نبأهما بالحق، فلم يشمئز نبي الله داود عليه السلام من وعظهما له، ولم يؤنبهما.

قال الألوسي: قوله: ﴿فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾... وأرادوا بهذا الأمر والنهي إظهار الحرص علي ظهور الحق والرضا به من غير ارتياب بأنه عليه السلام يحكم بالحق ولا يجور في الحكم، وأحد الخصمين قد يقول نحو ذلك للإيماء أنه المحق، وقد يقوله اتهاماً للحاكم وفيه حينئذ من الفظاظة ما فيه؛ وعلي ما ذكرنا أولاً فيه بعض فظاظة، وفي تحمل داود عليه السلام لذلك منهم دلالة علي أنه يليق بالحاكم تحمل نحو ذلك من المتخاصمين لاسيما إذا كان ممن معه الحق فحال المرء وقت التخاصم لا يخفى.

والعجب من حاكم أو محكم أو مَن للخصوم نوع رجوع إليه كالمفتي كيف لا يقتدي بهذا النبي الأواب عليه السلام في ذلك بل يغضب كل الغضب لأدنى كلمة تصدر ولو فلتة من أحد الخصمين يتوهم منها الحطّ لقدره، ولو فكر في نفسه لعلم أنه بالنسبة لهذا النبي الأواب عليه السلام لا

(١) (١)سورة ص الآيات: ٢١: ٢٦.

(٢)الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٥.

(٣)فتح القدير للشوكاني: ٤/ ٥٢٨.

يعدل والله العظيم متك ذباب، اللهم وفقنا لأحسن الأخلاق، واعصمنا من الأغلاط.اهـ (١)

ومن آيات الذكر الحكيم التي جاءت فيها كلمة (الحق) بمعنى العدل قوله ﷻ: ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلاً فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ۞ قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ۞ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ۞ وَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ۞ الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْباً كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ ۞ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (٢)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ يعني: بالعدل.(٣)

ومن خلال هذا الحوار البليغ والعجيب بين نبي الله شعيب عليه السلام وقومه يتبين أن دعوته عليه السلام كانت كدعوة النبي ﷺ بل وجميع الرسل كذلك ﴿اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ﴾ وأمرهم شعيب عليه السلام بعد ذلك بالوفاء في الكيل والوزن ونهاهم عن نقص الناس شيئاً من حقوقهم بعد الأمر

(١) (١)روح المعاني: ٢٣/ ١٧٩. والمتك والمُتك: أنف الذباب.لسان العرب: ٨/ ١٩٥(متك).

(٢)سورة الأعراف الآيات: ٨٥: ٩٣.

(٣)الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٥

بعبادة الله مباشرة، وأن الذين ناصبوه العداء وأخذ يسالمهم ويناصحهم، هم المستكبرون من قومه حتى وصل البغي والبطر والأشر بهم إلي توعدوا نبيهم ومن آمن معه بالإخراج من قريتهم أو عوده هو ومن آمن به في ملتهم الكفرية... ثم دعا عليهم شعيب (عليه السلام) لما يئس منهم فقال﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾يعني: بالعدل. والفاتحة: الحكومة... قال ابن عباس (رضي الله عنهما): ما كنت أدري ما قوله:﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ حتى سمعت ابنة ذي يزن تقول: تعال أفاتحك، تعني أقاضيك.[1]

والمعني: ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق الذي مضت به سنتك في التنازع بين المرسلين والكافرين المكذبين، بل وبين كل محقّ ومبطل، فكأنهم طلبوا نزول العذاب بالكافرين وحلول نقمة الله بهم، وأنت خير الحاكمين عدلاً وإحاطة، سبحانك أنت الحكم العدل.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: وفتحه تعالي لعباده نوعان: فتح العلم، بتبيين الحق من الباطل، والهدي من الضلال، ومن هو المستقيم علي الصراط ممن هو منحرف عنه.

(١) فتح القدير: ٢/ ٢٨١، ٢٨٣.

والنوع الثاني: فتحه بالجزاء وإيقاع العقوبة علي الظالمين، والنجاة والإكرام للصالحين. فسألوا الله أن يفتح بينهم وبين قومهم، بالحق والعدل، وأن يريهم من آياته وعبره، ما يكون فاصلاً بين الفريقين. اهـ[2]

ولقد كانت النهاية المحتومة والمنتظرة لأولئك الظلمة، فأخذتهم الزلزلة الشديدة فأصبحوا في دارهم صرعي ميتين هامدين كأن لم يقيموا فيها...

وكذلك دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) ربه (عز وجل) بالحكم بالحقّ بينه وبين القوم الكافرين فقال (تعالى):﴿ قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[3]

وقد استجاب الله (عز وجل) دعاء نبيه (صلى الله عليه وسلم) فعذبهم ببدر، ثم جعل العاقبة والغلبة والنصر لعباده المؤمنين والحمد لله ربّ العالمين﴿ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ من الكفر والتكذيب.[4]

(٢) تفسير السعدي: ص ٢٥٩: ٢٦٠.
(٣) سورة الأنبياء الآية: ١١٢.
(٤) انظر فتح القدير: ٣/ ٥٣٦.

ومن آيات القرآن التي وردت فيها كلمة (الحق) بمعني العدل كذلك قوله (تعالى):﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾[1]

الشاهد قوله (جل جلاله):﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ يقول: حسابهم الحق يعني: العدل ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ يعني: العدل المبين.[2]

والمعني: يوم القيامة يوفيهم الله دينهم الحق، ويعطيهم جزاءهم كاملاً عادلاً لا يزيد علي جريرتهم ولا ينقص كما قال (تعالى):﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ ويعلمون عند معاينتهم لذلك أن الله هو الحق الثابت في ذاته وصفاته وأفعاله، المبين المظهر للأشياء كما هي في أنفسها.[3] إلي غير ذلك من الآيات.

(١) سورة النور الآية: ٢٥.
(٢) الوجوه والنظائر: ١/ ٢٨٥.
(٣) انظر فتح القدير: ٤/ ٢٣ والآية من سورة الكهف: ٤٩.

الوجه السادس:
الحق يعني: الصدق

ومن محاسن الإسلام كذلك (الصدق) فهو منبت المكارم، ورأس الفضائل وفي ظلاله تحيا الحقيقة، وتشرق العدالة، وتطمئن الحياة، فالإنسان الصادق شخصيته محبوبة، وحديثه مرغوب، ولكلمته وزنها واحترامها عند الناس

ولشهادته مكانتها وقبولها عند الحكم والقضاء، وقد نادي الله (عز وجل) عباده المؤمنين، وأمرهم بتقواه وبأن يكونوا مع الصادقين في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم. قال (جل جلاله):﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[4]

فالمؤمن يصدق مع ربه، كما يصدق مع نفسه والناس، فيصبح ظاهره كباطنه في الصفاء والطهر والاستقامة، ويجعل وسائله في حياته شريفة كغاياته، فهو يعلم من كتاب ربه، أن الكذب سبيل الضلال بل هو طريق الكفر. فالذين يفترون علي الله (عز وجل) الكذب هم الذين رفضوا الإيمان بكتاب الله المنزل بالحق الذي ليس وراءه حق، ولا مرية فيه.

(٤) سورة التوبة الآية: ١١٩.

قال ﷻ: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[1]

قال الشوكاني قوله: ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ ﴾ الضمير راجع إلي القرآن أو إلي العذاب[2] وقومه المكذبون: هم قريش، وقيل كل معاند، وجملة ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ في محل نصب علي الحال أي كذبوا القرآن أو بالعذاب والحال أنه حق.[3] ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ أي لست بحفيظ علي أعمالكم حتى أجازيكم عليها، وإنما أنا منذر ومبلغ ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ أي لكل خبر من أخبار الله وقت يقع فيه من غير خلف ولا تأخير ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما توعدون به من العذاب.

فالعجب من القوم كيف يجحدون آيات الله ﷻ والقرآن أصدق الحديث؟!

---

(1) سورة الأنعام الآيتان: ٦٦، ٦٧.

(2) إلي قوله ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ { الأنعام:٦٥}.

(3) فتح القدير: ٢/ ١٦٠.

قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾[4] ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾[5]

وقال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾[6]

الشاهد في الآية الكريمة: ﴿ قَوْلُهُ الْحَقُّ ﴾ يعني: الصدق.[7]

فهل بعد كل هذا وغيره يشك الكفار في العذاب الواقع بهم؟!!!

قال ﷻ: ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[8]

---

(4) سورة النساء الآية: ٨٧

(5) سورة النساء الآية: ١٢٢.

(6) سورة الأنعام الآية:٧٣.

(7) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٦

(8) سورة يونس الآيات: ٥٣ : ٥٥

الشاهد قوله ﷻ: ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ﴾ يعني: أصدق هو ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ إنه لصدق... ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ يعني: صدقاً.[1]

والمعني: ويستخبرونك يا محمد فيقولون: علي جهة الاستهزاء منهم والإنكار أصدق هو وحق ما تعدنا به من العذاب في العاجل والآجل؟ قل لهم أيها الرسول الكريم: نعم والله إنه لصدق كائن لا شك فيه.

قال الشوكاني: قوله: ﴿قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لهم هذه المقالة جواباً عن استفهامهم الخارج مخرج الاستهزاء: أي قل لهم يا محمد غير ملتفت إلي ما هو مقصودهم من الاستهزاء: إي وربي إنه لحق: أي نعم وربي إن ما أعدكم به من العذاب لحق ثابت كائن لا محالة.

وفي هذا الجواب تأكيد من وجوه: الأول: القسم مع دخول الحرف الخاص بالقسم الواقع موقع نعم؛ الثاني: دخول إنّ المؤكدة؛ الثالث: اللام في ﴿ لَحَقٌّ ﴾ الرابع: إسمية الجملة؛ وذلك يدل علي أنه قد بلغوا في الإنكار والتمرد إلي الغاية التي ليس وراءها غاية، ثم توعدهم بأشد توعد، ورهبهم بأعظم ترهيب، فقال: ﴿ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ أي فائتين العذاب بالهرب والتحيل الذي لا ينفع والمكابرة التي لا تدفع من قضاء الله شيئاً... وقوله: ﴿ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي كائن لا محالة، وهو عام يندرج فيه ما استعجلوه من العذاب اندراجاً أولياً،... ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ ﴾ أي الكفار ﴿ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ما فيه صلاحهم فيعملون به، وما فيه فسادهم فيجتنبونه .اهـ[2]

إلي غير ذلك من الآيات التي وردت في بيان أن الصدق هو الحق.

الوجه السابع:

الحق يعني: وجب عليهم القول

اتضح مما سبق أن أهل الكفر وأمثالهم لا يعلمون ما فيه صلاحهم فيعملون به، وما فيه فسادهم فيجتنبونه، والنتيجة لذلك أن ثبت وحقت ووجبت عليهم كلمة العذاب، وهذا يرجع لأسباب كثيرة منها:

السبب الأول: الكفر وعدم الإيمان؛ قال ﷻ: ﴿ يس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝

---

(1) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٦.

(2) فتح القدير: ٢/ ٥٦١: ٥٦٢.

عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۝ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ۝ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ۝ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾[١]

الشاهد في الآيات قولهﷻ: ﴿ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ واللام في ﴿ لَقَدْ ﴾ هي الموطئة للقسم أي: والله لقد حق القول علي أكثرهم، ومعنى ﴿ حَقَّ ﴾ ثبت ووجب القول أي العذاب علي أكثرهم: أي أكثر أهل مكة، أو أكثر الكفار علي الإطلاق... ﴿ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ لأن الله ﷻ قد علم منهم الإصرار علي ما هم فيه من الكفر بل والموت عليه، وحينئذ عوقبوا بالطبع علي قلوبهم. ثم ذكرت الآيات الموانع من عدم إيمانهم.[٢]

ونظير هذه الآيات المباركة قولهﷻ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ ۝ وَلَوْ جَاءتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُاْ الْعَذَابَ الأَلِيمَ ﴾[٣]

والمعني: أنه حقّ عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم، ولابد أن يصيروا إلي ما قدره الله وقضاه، فلا يقع منهم الإيمان بحال من الأحوال وإن وقع منهم ما صورته الإيمان كمن يؤمن منهم عند معاينة العذاب فهو في حكم العدم، ولو جاءتهم الآيات التكوينية والتنزيلية، فإن ذلك لا ينفعهم.

فعندما تظهر لهم الحقيقة، وتصير عين يقين، يندمون علي ما فرط منهم في الدنيا من الشرك والعصيان، ويتمنون الرجوع إليها للإيقان والعمل الصالح.

قالﷻ: ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً إِنَّا مُوقِنُونَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٤]

---

(١) سورة يس الآيات: ١ : ١٠.

(٢) انظر المصدر السابق: ٤/ ٤٤٦.

(٣) سورة يونس الآيتان: ٩٦ ، ٩٧.

(٤) سورة السجدة الآيات: ١٢: ١٤.

الشاهد في الآيات قولهﷻ: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا ﴾

وهذا ردّ عليهم لما طلبوا الرجعة؛ أي: لو شئنا لهدينا الناس كلهم وجمعناهم علي الهدي فمشيئتنا صالحة لذلك، ولكن الحكمة، تأبي أن يكونوا جميعهم علي الهدي ولهذا قالﷻ: ﴿ وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي ﴾ أي وجب، وثبت ثبوتاً لا تغير فيه، ونفذ قضائي وقدري وسبقت كلمتي ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ هذا هو القول الذي وجب من الله وحقّ علي عباده ونفذ فيه قضاؤه فكان مقتضي هذا القول أن لا يعطي كل نفس هداها، بل لابد من تقرير أسبابه من الكفر والمعاصي، وإنما قضي عليهم هذا، لأنه ﷻ قد علم أنهم من أهل الشقاوة، وأنهم ممن يختار الضلالة علي الهدي.[١]

السبب الثاني الذي من أجله حقت كلمة العذاب: تكذيب الرسل عليهم السلام.

قالﷻ ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ۝ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴾[٢]

لما ذكر ﷻ في أول سورة (ص) أحوال الكفار المعاصرين للرسول ﷺ وأنهم كانوا في عزة واستكبار عن الإذعان للقرآن، والاعتراف بالحق، وتعجبهم من كون الرسول ﷺ واحداً منهم، وإنكارهم أن تصريف هذا الكون إنما يرجع إلي إله واحد، وأن القرآن نزل علي النبي محمد ﷺ دونهم... ذكر أمثالهم ممن تقدمهم وعمل عملهم من الكفر والتكذيب.

قال الألوسي رحمه الله: وقولهﷻ: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ إلي آخره استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان أحوال العتاة الطغاة مما فعلوا من التكذيب وفعل بهم من العقاب... وقوله ﷻ: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ ﴾ استئناف جئ به تقريراً لتكذيبهم علي أبلغ وجه وتمهيداً لما يعقبه، و﴿ إِن ﴾ هي النافية.

والمعني: ما كل حزب من هذه الأحزاب إلا كذب الرسل، لأن تكذيب الحزب لرسوله إليه تكذيب لجميع

---

(١) انظر المصدر السابق: ٤/ ٣١٢: ٣١٣ وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٥٨.

(٢) سورة ص الآيات: ١٢ : ١٤.

الرسل. أو هو من مقابلة الجمع بالجمع والمراد تكذيب كل حزب لرسوله، والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال: أي ما كل أحد من الأحزاب في جميع أحواله إلا وقع منه تكذيب الرسل .اهـ[١]

قال أبو السعود رحمه الله: وفي إسناد التكذيب إلي الطوائف المذكورة علي وجه الإبهام أولاً، والإيذان بأن كلاً منهم حزب علي حياله تحزّب علي رسوله ثانياً، وتبيين كيفية تكذيبهم بالجملة الاستثنائية ثالثاً، فنون من البلاغة مسجلة عليهم باستحقاق أشدّ العذاب وأفظعه، ولذلك رتب عليه قوله: ﴿ فحقّ عقابِ ﴾ أي ثبت ووقع علي كلّ منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها".اهـ[٢]

فأغرق قوم نوح، وأهلك فرعون وجنده في البحر بالغرق، وقوم هود بالريح وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط بالخسف، وأصحاب الأيكة بعذاب الظلة.

(١) روح المعاني: ٢٣/ ١٧٠.

(٢) تفسير أبي السعود: ٧/ ٢١٧.

ومن الآيات التي وردت في ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۞ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٣]

الشاهد في الآيتان قوله: ﴿ قَالُوا بَلَى ﴾ أي قد أتتنا الرسل بآيات الله وأنذرونا لقاء يومنا هذا ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ﴾ أي وجبت ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهي ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[٤] أو قوله ﷻ: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[٥] وقد كانوا ممن اتبعه وكذبوا الرسل.[٦]

وأيضاً قوله ﷻ: ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ

(٣) سورة الزمر الآيتان: ٧١، ٧٢.

(٤) سورة السجدة الآية: ١٣.

(٥) انظر الصدر السابق: ٧/ ٢٦٤.

(٦) سورة غافر الآيات: ٤: ٦.

تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِوكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾[١]

الشاهد في الآيات قوله ﷻ: ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي وجبت وثبتت ولزمت ... والمعني: وكما حقت كلمة العذاب علي الأمم المكذبة لرسلهم حقت علي الذين كفروا به وجادلوا بالباطل وتحزبوا عليك، وجملة ﴿ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ للتعليل:أي لأجل أنهم مستحقون للنار.[٢]

السبب الثالث الذي من أجله حقت كلمة العذاب: الترف والفساد.

قال ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۞ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾[٣]

(١) سورة ص الآية: ٨٥.

(٢) فتح القدير: ٤/ ٥٩٧.

الترف: ناقوس الخطر في حياة المجتمعات، إذ أن المترفين هم السبب الرئيسي والمباشر في تحطيم المجتمع بإفساده ومن ثم هلاكه؛ لأنهم فقدوا الإيمان بالله ونشروا الفوضى والتحلل الخلقي، فالترف يؤدي إلي الفسق وهذا الفسق يؤدي إلي الدمار ـــ وهو ما أشارت إليه الآيتان ـــ كما أنهم في الوقت ذاته أول من يعارض مسيرة الخير والإصلاح والبناء.[٤]

والشاهد في الآيتان الكريمتان قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله: اختلف القراء في قوله ﴿ أَمَرْنَا ﴾ فالمشهور قراءة التخفيف، واختلف المفسرون في معناها فقيل معناه: أمرنا مترفيها ففسقوا فيها أمراً قدرياً كقوله ﷻ: ﴿ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا ﴾ .اهـ[٥]

(٣) سورة الإسراء الآيتان: ١٦، ١٧.

(٤) قال ﷻ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾{سبأ:٣٤}

(٥) تفسير ابن كثير : ٣/ ٣٢ والآية من سورة يونس: ٢٤.

﴿ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ ﴾ أي ثبت وتحقق عليهم العذاب بعد ظهور فسقهم ﴿فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾ أي تدميراً عظيماً لا يوقف علي كنهه لشدته وعظم موقعه.(1)

قال العلامة الألوسى رحمه الله: والتدمير هو الإهلاك مع طمس الأثر وهدم البناء، والآية تدل علي إهلاك أهل القرية علي أتم وجه، وإهلاك جميعهم لصدور الفسق منهم جميعاً فإن غير المترف يتبعه عادة لاسيما إذا كان المترف من علماء السوء...

وقيل: هلاك الجميع لا يتوقف علي التبعية فقد قال ﷻ: ﴿ وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾(2)

صح عن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شرّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال: نعم إذا كثر الخبث .اهـ (3) إلي غير ذلك من الآيات.

(1) فتح القدير: ٣/ ٢٦٧.
(2) سورة الأنفال الآية: ٢٥.
(3) روح المعاني: ١٥/ ٤٤.

الوجه الثامن: الحق بعينه الذي ليس بباطل

إن الحقّ لا يحق، وأن الباطل لا يبطل في المجتمع الإنساني بمجرد البيان النظري للحقّ والباطل، ولا بمجرد الاعتقاد النظري بأن هذا حق، وهذا باطل.. إن الحقّ لا يحق ولا يوجد في واقع الناس، والباطل لا يبطل ولا يذهب من دنيا الناس إلا بأن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحقّ ويظهروا، ويهزم دعاة الباطل ويندحروا.(4)

قال الله ﷻ: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾(5)

الشاهد في الآيات قوله ﷻ: ﴿ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ﴾ أي: ويريد الله غير ما تريدون وهو أن يحقّ الحقّ بإظهاره لما قضاه من

(4) انظر طريق الدعوة في ظلال القرآن أ / أحمد فائز: ١/ ٨٨.
(5) سورة الأنبياء الآيات: ١٦: ١٨.

ظفركم بذات الشوكة، وقتلكم لصناديدهم، وأسر كثير منهم، واغتنام ما غنتم من أموالهم التي أجلبوا بها عليكم وراموا دفعكم بها.

والمراد بالكلمات: الآيات التي أنزلها في محاربة ذات الشوكة، ووعدكم منه بالظفر بها ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ أي: يستأصل أهل الباطل، ويري عباده من نصره للحق أمراً لم يكن يخطر ببالهم ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ ﴾ بما يظهر من الشواهد والبراهين علي صحته وصدقه ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ بما يقيم من الأدلة والشواهد علي بطلانه، فالجملة الكريمة علة لما يريده الله ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ فلا يبالي الله بهم.

إن الحق قذيفة في يد القدرة الإلهية تقذفه علي الباطل فينشق دماغه، فإذا هو زاهق. فالحق أصيل في طبيعة الكون، عميق في تكوين الوجود، والباطل منفي عن خلقة هذا الكون أصلاً.

قال ﷻ: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاء وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ۞ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ ۞ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات أنه خلق السموات والأرض بالحق، ليجزي الذين ساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وأنه ﷻ لم يخلق ذلك عبثاً ولا لعباً، وإنما للتنبيه أن لهما خالقاً قادراً يجب امتثال أوامره.

وقوله: ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً ﴾ علي الفرض والتقدير المحال ﴿ لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ أي من عندنا ومن جهة قدرتنا لا من عندكم. قال المفسرون: أي من الحور العين، وفي هذا ردّ علي من قال بإضافة الصاحبة والولد إلي الله ﷻ ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ ﴾ هذا إضراب عن اتخاذ اللهو: أي دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل، بل شأننا أن نرمي الحقّ علي الباطل ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ أي يقهره، وأصل الدمغ شج الرأس حق يبلغ الدماغ، ومنه الدامغة.

قال الزجاج: المعني نذهبه ذهاب الصغار والإذلال، وذلك أن أصله إصابة الدماغ بالضرب. قيل: أراد بالحق الحجة، وبالباطل شبههم. وقيل: الحق المواعظ، والباطل المعاصي. وقيل: الباطل الشيطان وقيل: كذبهم ووصفهم الله ﷻ

بغير صفاته، واللفظ يشمل كل ما هو حق وباطل.

﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ أي: زائل ذاهب هالك تالف ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾

أي: العذاب في الآخرة بسبب وصفكم الله بما لا يجوز عليه. (١)

إن الله ﷻ يلفت نظر عباده في هذه الآية وغيرها (٢) إلى أن خلق السموات والأرض وما بينهما بالحق، والوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقهما عليه ليستدل بهما على كمال قدرته، وليعبده الخلق، فهو الرب المعبود، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، لأن عبادته هي الحق، وعبادة غيره باطلة.

قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ (٣)

الشاهد في الآيات الكريمة قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ وغيره من الآلهة باطل. (٤)

وهو كلام مستأنف جيء به إلى تحقيق حقية البعث وإقامة البرهان عليه على أتم وجه لبيان أن ما ذكر من خلق الإنسان على أطوار مختلفة وتصريفه في أحوال متباينة... (٥)

وتدبر معي أيها القارئ الكريم هذه النتائج المترتبة على تلك المقدمات وهي ما أفصح عنها قوله ﷻ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ ﴾ لأنه أخبر العقل بما لم يعلم من تلقاء نفسه. وأثبت له بالدليل الحسي أن ما أخبر به ثابت ولا يخبر

(١) انظر تفسير ابن كثير: ٣/ ١٧٤: ١٧٥ وفتح القدير: ٣/ ٤٩٩.

(٢) قال ﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ إبراهيم: ١٩ وقال ﷻ ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ الحجر: ٨٥.

(١) (٣) سورة الحج الآيات: ٥: ٧.

(٤) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧.

(٥) روح المعاني: ١٧/ ١١٩.

بالحق إلا الحق ﴿ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾ فقد أحيا الأرض بالماء، ﴿ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ لأنه أوجد من التراب كائناً يفكر ويخترع.

إذا ثبتت هذه النتائج الثلاث وهي بالقطع ثابتة – ثبت ما أخبر عنه من غيبيات: كالساعة، لأنها وقت. ومن أنكر وجود الغد فهو مكابر.. وثبت بعث من في القبور، كما ثبت خروج النبات الحي من الأرض الجامدة. (١)

فمن خلال هذه الآيات الكريمة وغيرها (٢) فإن القرآن الكريم يقرر حتمية البعث والرد إلى الله ﷻ بعد الحشر كي ينال كل إنسان الجزاء المنوط به.

قال ﷻ: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۞ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٣)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ﴾ (٤) وغيره باطل.

أي: ثم يرد العباد بعد البعث إلى الله خالقهم ومالكهم الذي له الحكم والتصرف والذي لا يقضي إلا بالعدل، ولله ﷻ الحكم وحده يوم القيامة، وله الفصل والقضاء لا يشغله حساب عن حساب ، ولا شأن عن شأن، وهو أسرع الحاسبين.

ومن أجل كل هذا فيجب امتثال ما أمر الله ﷻ واجتناب ما نهي، ويدخل في ذلك تعيين الحقوق لأصحابها ومستحقيها، وتخليص متشابهها لأنه أساس العدل الذي سنه الإسلام للمجتمع الإسلامي وله مزيد ارتباط بأصل الحرية إطلاقاً وتحديداً، لأن استعمال الحرية محوط بسياج الحقوق. (٥)

قال ﷻ: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (٦)

وقال ﷻ: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ (٧) إلى غير ذلك من الآيات.

(١) انظر الأصلان في علوم القرآن اد/ محمد عبد المنعم القيعي: ص ٣٥٠. ط ١٩٨٥م.

(٢) مثل قوله ﷻ ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ { طه: ١٥ }.

(٣) سورة الأنعام الآيتان: ٦٠، ٦١.

(٤) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧.

(٥) انظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ الطاهر بن عاشور: ١٧٨.

(٦) سورة النساء الآية: ١٠٥ وراجع سبب نزولها في كتب التفسير.

(٧) سورة المائدة الآية: ٤٨ وراجع سبب نزولها في كتب التفسير.

الوجه التاسع:

الحق يعني: المال

المال: هو كل ما به تستغني الناس في تحصيل ما ينفعهم في معاشهم... وهو شئ مهم لأن به قوام مصالح الأمة وطمأنينة عيشها كما به قوام مصالح الفرد وطمأنينته...

وقد أمر الله ﷻ بحفظ المال فقال ﷻ: ﴿ وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً ﴾[١] وقال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ﴾[٢]

كما أرشد الله ﷻ عباده المؤمنين إذا تعاملوا بمعاملات مؤجلة أن يكتبوها، ليكون ذلك أحفظ لمقدارها وميقاتها وأضبط للشاهد فيها.[٣]

قال ﷻ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللّهَ رَبَّهُ وَلاَ يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى وَلاَ يَأْبَ الشُّهَدَاء إِذَا مَا دُعُواْ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيراً أَو كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوْاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلاَ يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلاَ شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٤]

الشاهد في الآية الكريمة قوله ﷻ: ﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ يعني: المال ﴿ فَإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾ يعني: المال.[٥]

وهذه الآية هي أطول آية في القرآن العظيم [٦] وقد جاءت بأرقى النظم

(١) سورة النساء الآية: ٥.

(٢) سورة النساء الآية: ٢٩ وانظر المصدر السابق: ص١٩٨: ١٩٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٩٣.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

(٥) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧.

(٦) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٩٣.

التجارية منذ أربعة عشر قرناً ونيفاً وعشرين.

وقد اشتملت الآية الكريمة علي فوائد كثيرة منها:

١-جواز المعاملات في الديون، سواء أكانت ديون سلم أو شراء مؤجلاً ثمنه، فكله جائز؛ لأن الله أخبر به المؤمنين، وما أخبر به عن المؤمنين، فإنه من مقتضيات الإيمان وقد أقرهم عليه الملك الديان.

٢-وجوب تسمية الأجل في جميع المداينات وحلول الإجارات.

٣-أنه إذا كان الأجل مجهولاً، فإنه لا يحل، لأنه غرر وخطر، فيدخل في الميسر.

٤-أمره تعالي بكتابة الديون، وهذا الأمر قد يجب، إذا وجب حفظ الحقّ، كالذي للعبد عليه ولاية، وكأموال اليتامى، والأوقاف، والوكلاء، والأمناء، وقد يقارب الوجوب، كما إذا كان الحقّ متمحضاً للعبد فقد يقوي الاستحباب بحسب الأحوال المقتضية لذلك.

٥-أمره تعالي للكاتب أن يكتب بين المتعاملين بالعدل، فلا يميل مع أحدهما لقرابة ولا غيرها، ولا علي أحدهما لعداوة ونحوها.

٦-أن من تمام الكتابة والعدل فيها، أن يحسن الكاتب الإنشاء، والألفاظ المعتبرة في كل معاملاته بحسبها، وللعرف في هذا المقام اعتبار عظيم.

٧-أن الذي يكتبه الكاتب، هو اعتراف من عليه الحق، إذا كان يحسن التعبير عن الحق الذي عليه، فإن كان لا يحسن ذلك لصغره، أو سفهه، أو جنونه، أو خرسه، أو عدم استطاعته أملي عنه وليّه، وقام وليّه في ذلك مقامه.

٨-أن الاعتراف من أعظم الطرق التي تثبت بها الحقوق، حيث أمر الله ﷻ أن يكتب الكاتب، ما أملي عليه من عليه الحق.

٩-ثبوت الولاية علي القاصرين. من الصغار والمجانين والسفهاء ونحوهم.

١٠- أنه يجب علي الذي عليه الحق إذا أملي علي الكاتب أن يتق الله ﷻ، ولا يبخس الحقّ الذي عليه، فلا ينقصه من قدره، ولا في وصفه، ولا في شرط من شروطه أو قيد من قيوده، بل عليه أن يعترف بكل ما عليه من متعلقات الحق، كما يجب ذلك إذا كان الحق علي غيره له، فمن لم يفعل ذلك فهو من المطففين الباخسين.

١١- الإرشاد إلي الإشهاد في البيع، وإشهاد رجلين عدلين، فإن لم يكن، أو تعذر، فرجل وامرأتان لضعف ذاكرة المرآة غالباً بخلاف الرجل، وذلك شامل لجميع المعاملات.

١٢- أن الشهادة لابد أن تكون عن علم ويقين، وليس للشاهد أن يمتنع إذا دعي للشهادة، فالقيام بها من أفضل الأعمال الصالحة، وكتمانها معصية.

١٣- لا يحل الإضرار بالكاتب ولا بالشهيد لأن الإضرار فسوق بالإنسان.

١٤- أن تقوي الله وسيلة إلي حصول العلم، وأن علمه ﷻ محيط بكل شيء.(1)

الوجه العاشر: أحق يعني أولي

من الأمور المعلومة للعقلاء أن كثرة المال ليست دليلاً علي الرضي من الله ﷻ كما أن قلته ليست دليلاً علي السخط فهذا قارون ماذا كانت نهايته؟! وذاك طالوت مع أنه لم يؤت سعة من المال إلا أن الله ﷻ اصطفاه واختاره.

قال ﷻ: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُواْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(2)

الشاهد في الآية الكريمة قوله ﷻ: ﴿ وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ ﴾ يعني: أولي بالأمر منه.(3)

والمعني: وقال لهم نبيهم: إن الله اختار لكم طالوت ملكاً وقائداً، قالوا متعجبين: كيف يكون ملكاً علينا؟ ونحن أحق وأولي بالأمر منه إذ فينا الملك قديماً، وطالوت فقير لا مال له يقوم بالملك،

(1) انظر تفسير السعدي: ص٩٨ فما بعدها.

(2) سورة البقرة الآية: ٢٤٧.

(3) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧

وقد ذكر بعضهم — كما يقول ابن كثير— أنه كان سقاء وقيل دباغاً، وهذا اعتراض منهم علي نبيهم وتعنت، وكان الأولي بهم طاعة وقول معروف.(1)

وقد ردّ عليهم نبيهم بأبلغ وجه وأكمله كأنه قيل: لا تستبعدوا تملكه عليكم لفقره أمّا أولاً: فلأن ملاك الأمر هو اصطفاء الله ﷻ وقد اصطفاه واختاره وهو ﷻ أعلم بالمصالح منكم، وأمّا ثانياً: فلأن العمدة وفور العلم ليتمكن به من معرفة الأمور السياسية، وجسامة البدن ليكون أعظم خطراً في القلوب وأقوي علي كفاح الأعداء ومكابدة الحروب لا ما ذكرتم، وقد خصه الله ﷻ بحظ وافر منهما، وأمّا ثالثاً: فلأنه ﷻ مالك الملك علي الإطلاق وللمالك أن يمكن من شاء من التصرف في ملكه بإذنه، وأمّا رابعاً: فلأنه ﷻ واسع الفضل يوسع علي الفقير فيغنيه عليم بما يليق بالملك من النسيب وغيره.(2)

وفي نهاية قصة طالوت وجالوت قال ﷻ: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾(3)

إن في هذه القصة لعبراً كثيرة للأمة المسلمة والتي منها:

بيان فضيلة الجهاد في سبيل الله، وفوائده، وثمراته، وأنه السبب الوحيد في حفظ الدين، وحفظ الأوطان والأبدان والأموال، وأن المجاهدين ولو شقت عليهم الأمور، فإن عواقبهم حميدة كما أنّ القاعدين ولو استراحوا قليلاً فإنهم سيتعبون طويلاً، ويخسرون كثيراً.

ومن هنا فقد حضّ القرآن الكريم علي قتال الكفار الناكثين للعهود الطاعنين في الدين. قال ﷻ: ﴿ وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ۞ أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن

(1) تفسير ابن كثير: ١/ ٢٦٤

(2) روح المعاني: ٢/ ١٦٧.

(3) سورة البقرة الآيتان: ٢٥٠، ٢٥١.

كنتم مؤمنين ۝ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ۝ ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم ﴾(١)

الشاهد قوله ﷻ: ﴿ أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه ﴾ يعني: أولي.(٢)

قال الشوكاني: قوله: ﴿ ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم ﴾ الهمزة الداخلة علي حرف النفي للاستفهام التوبيخي مع ما يستفاد منها من التحضيض علي القتال والمبالغة في تحققه، والمعني: أن من كان حاله كحال هؤلاء من نقض العهد وإخراج الرسول ﷺ من مكة والبداءة بالقتال، فهو حقيق بأن لا يترك قتاله، وأن يوبخ من فرط في ذلك، ثم زاد في التوبيخ فقال: ﴿ أتخشونهم ﴾ فإن هذا الاستفهام للتوبيخ والتقريع: أي أتخشون أن ينالكم منهم مكروه فتتركون قتالهم لهذه الخشية، ثم بين ما يجب أن يكون الأمر عليه، فقال ﷻ: ﴿ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين ﴾ أي هو أحق بالخشية منكم، فإنه الضار النافع بالحقيقة، ومن خشيتكم له أن تقاتلوا من أمركم بقتاله، فإن قضية الإيمان توجب ذلك عليكم، ثم زاد في تأكيد الأمر بالقتال فقال ﷻ: ﴿ قاتلوهم ﴾ ورتب علي هذا الأمر فوائد: الأولي: تعذيب الله للكفار بأيدي المؤمنين بالقتل والأسر؛ والثانية: إخزاؤهم، قيل: بالأسر، وقيل: بما نزل بهم من الذل والهوان؛ والثالثة: نصر المسلمين عليهم وغلبتهم لهم؛ والرابعة: أن الله يشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين ممن لم يشهد القتال ولا حضره؛ والخامسة: أنه ﷻ يذهب بالقتال غيظ قلوب المؤمنين الذي نالهم بسبب ما وقع من الكفار من الأمور الجالبة للغيظ وحرج الصدر .اهـ(٣)

إن النفرة للجهاد في سبيل الله ﷻ انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع علي ثقلة اللحم والدم، وتحقيق للمعني العلوي في الإنسان، وتطلع إلي الخلود الممتد وخلاص من الفناء المحدود. قال ﷻ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل ﴾(٤)

(١) (١)سورة التوبة الآيات: ١٢: ١٥.

(٢)الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧.

(٣)فتح القدير: ٢/ ٤٢٤: ٤٢٥.

(٤)سورة التوبة الآية: ٣٨ وانظر طريق الدعوة في ظلال القرآن: ١/ ٣٠٠.

وما يحجم ذو عقيدة في الله ﷻ عن النفرة للجهاد في سبيله إلا وفي هذه العقيدة دخل، وفي إيمان صاحبها بها وهن. لذلك نجد من صفات المنافقين الجبن الشديد والتخلف عن الجهاد.

قال ﷻ: ﴿ وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين ۝ وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون ۝ الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين ﴾(١)

ولم يقنعوا بجبنهم وتخلفهم عن الجهاد بل صاروا في خلواتهم يطعنون علي المؤمنين وعلي النبي ﷺ فإذا بلغ ذلك رسول الله ﷺ وإلي المؤمنين جاء المنافقون فحلفوا علي أنهم لم يقولوا ما بلغ عنهم قاصدين بهذه الأيمان الكاذبة أن يرضوا رسول الله ومن معه من المؤمنين فنعي الله ذلك عليهم.

قال ﷻ: ﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم ۝ يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾(٢)

الشاهد في الآيتان الكريمتان قوله ﷻ: ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه ﴾ يعني: أولي.(٣) أي هما أحق بذلك من إرضاء المؤمنين بالأيمان الكاذبة، فإنهم لو اتقوا الله وآمنوا به وتركوا النفاق لكان ذلك أولي لهم، وإفراد الضمير في ﴿ يرضوه ﴾ إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر أو لكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله، فإرضاء الله إرضاء لرسوله ...

وجواب ﴿ إن كانوا مؤمنين ﴾ محذوف: أي إن كانوا فليرضوا الله ورسوله.(٤) ألا بئس النفاق وبئس المنافقين وبئس مآلهم، ونعم الإيمان ونعم المؤمنين ونعم مآلهم. إلي غير ذلك من الآيات.

(١)سورة آل عمران الآيات: ١٦٦: ١٦٨.

(٢)سورة التوبة الآيتان: ٦١، ٦٢.

(٣)الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٧.

(٤)انظر فتح القدير: ٢/ ٤٦٨.

الوجه الحادي عشر: الحق يعني: الحظ

تبين مما سبق بعض صفات المنافقين، والآن نبين بعض صفات المؤمنين المتقين، وذلك أنهم يجعلون في أموالهم حظاً ونصيباً للسائل والمحروم زلفى إلي الله ﷻ وقد مدحهم الله ﷻ في كثير من الآيات من ذلك.

قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(١)

الشاهد هنا قوله ﷻ: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ يعني: حظاً.(٢)

قال الشوكاني: قوله: ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ أي يجعلون في أموالهم غلي أنفسهم حقاً للسائل والمحروم تقرباً إلي الله ﷻ. وقال محمد ابن سيرين وقتادة: الحق هنا الزكاة المفروضة، والأول أولي فيحمل علي صدقة النفل وصلة الرحم وقري الضيف، لأن السورة مكية والزكاة لم تفرض إلا بالمدينة... والسائل هو الذي يسأل الناس لفاقته.

واختلف في تفسير المحروم، فقيل هو الذي يتعفف عن السؤال حتى يحسبه الناس غنياً فلا يتصدقون عليه ... والذي ينبغي التعويل عليه ما يدل عليه المعني اللغوي، والمحروم في اللغة الممنوع، من الحرمان وهو المنع فيدخل تحته من حرم الرزق من الأصل، ومن أصيب ماله بجائحة أذهبته ومن حرم العطاء، ومن حرم الصدقة لتعففه .اهـ(٣)

ونظير تلك الآيات قوله ﷻ: ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ۝ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾(٤)

(١) سورة الذاريات الآيات: ١٥: ١٩.
(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٨
(٣) فتح القدير: ٥/ ١٠٤. وقال ابن العربي: والأقوى في هذه الآية أنها الزكاة، لقوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ { المعارج: ٢٤، ٢٥} والحق المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها ووقتها، فأما غيرُها لمن يقول به، فليس بمعلوم، لأنه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت". اهـ أحكام القرآن: ٤/ ١٧١٨ وتفسير القرطبي: ١٩/ ٤٨٢
(٤) سورة المعارج الآيات: ١٩: ٢٥.

والشاهد في الآيات قوله ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ يعني: حظاً.(١)

والمعني: إن الإنسان في حقيقة أصله ووجوده فهو الكائن البشري الذي يعود أصله إلي التراب لابد أن ينزع إلي الشرّ وإلي الخير، ونزعه إلي الشرّ كثير بل هو الأصل، ولا يخفف هذا إلا دواعي الخير كالإيمان السليم والقرآن الكريم، والعقل الراجح، وبدون هذا فالإنسان حيوان لكنه مفكر ومن حيث هو إنسان مادي بطبعه يؤثر الحياة الدنيا علي الآخرة، ولا يمنعه عن هذا إلا الإيمان وحبه للرسول ﷺ، وامتثال أمر الشرع، عندئذ يتبصر، فيري الحق ويتبعه وإن خالف نفسه وهواه، ويري الشر فيجتنبه وإن دعته له الدنيا وطبيعته، فالإنسان خلق كثير الهلع.(٢)

قال في الصحاح: الهلع في اللغة: أشد الحرص وأسوأ الجزع وأفحشه يقال هلع بالكسر فهو هلع وهلوع علي التكثير. وقال عكرمة: هو الضجور.

قال الواحدي: والمفسرون يقولون تفسير الهلع ما بعده يعني قوله: ﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴾ أي إذا أصابه الفقر والحاجة أو المرض أو ذهاب محبوب له من مال أو أهل أو ولد أو نحو ذلك فهو جزوع: أي كثير الجزع، وإذا أصابه الخير من الغني والخصب والسعة ونحو ذلك فهو كثير المنع والإمساك، ولا يشكر الله علي نعمه وبرّه. قال أبو عبيدة: الهلوع هو الذي إذا مسه الخير لم يشكر، وإذا مسه الشر لم يصبر... ﴿ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾ أي المقيمين للصلاة، وقيل المراد بهم أهل التوحيد: يعني أنهم ليسوا علي تلك الصفات من الهلع، والجزع، والمنع، وأنهم علي صفات محمودة وخلال مرضية، لأن إيمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحقّ يزجرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم غلي الاتصاف بصفات الخير. ثم بينهم ﷻ فقال: ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴾ أي مداومون عليها في أوقاتها بشروطها وأركانها وسننها لا يشغلهم عنها شاغل، ولا يصرفهم عنها صارف... ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾... من زكاة وصدقة، والظاهر أنه الزكاة لوصفه بكونه معلوماً وجعله قريناً للصلاة.(٣)

(١) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٨.
(٢) انظر التفسير الواضح: ٣/ ٧٤٧.
(٣) انظر فتح القدير: ٥/ ٣٦٢.

والخلاصة: أن علاج الهلع الذي يصيب بعض الناس إنما يكون بالقيام بحق الله ﷻ وآداء حقوق العباد، وغير ذلك من الصفات الذي ورد ذكرها في آيات السورة من التصديق بيوم الجزاء، والخوف من العذاب، وحفظ الفروج فلا يطؤون بها وطئاً محرماً، من زني أو لواط، أو وطء في دبر أو نحو ذلك، وحفظ الأمانات والتكاليف....

الوجه الثاني عشر:

الحق يعني: الحاجة

إن حاجة كل إنسان تختلف منه لآخر، فمن الناس من حاجته المال ومنهم من حاجته العلم، ومنهم من حاجته حبّ الرياسة والشهرة، ومنهم من حاجته الدنيا، ومنهم من حاجته الآخرة، فسبحان من أودع في كل قلب ما أشغله. لكن كانت طبيعة قوم لوط طبيعة تخالف الفطر السليمة، والعقل والحكمة، والذوق بل وكل الآداب والأخلاق فاستحقوا بذلك أشد العذاب.

قال ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطاً سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ۝ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ۝ قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ۝ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(١)

الشاهد في الآيات الكريمة قوله ﷻ: ﴿قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ يعني: من حاجة.(٢)

قال ابن كثير ما ملخصه: يخبر الله ﷻ عن قدوم رسله من الملائكة إلي لوط عليه السلام بعد مفارقتهم لإبراهيم ... فأتوا لوطاً وهو علي ما قيل في أرض له وقيل في منزله، ووردوا عليه وهم في أجمل صورة تكون علي هيئة شبّان حسان الوجوه ابتلاء من الله، وله الحكمة والحجة البالغة فساءه شأنهم .اهـ(٣)

(١) سورة هود الآيات: ٧٧: ٨٣.
(٢) الوجوه والنظائر للدامغاني: ١/ ٢٨٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٥٢.

وقوله ﷻ: ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً﴾ أي طاقة وجهداً، وهو في الأصل مصدر ذرع البعير بيديه يذرع في مسيره إذا سار ماداً خطوه مأخوذ من الذراع وهو العضو المعروف، ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة والجهد..

وفي الصحاح يقال: ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم تطقه ولم تقو عليه... ونصبه علي أنه تمييز محول عن الفاعل أي ضاق بأمرهم وحالهم ذرعه.(١)

وإنما ضاق ذرعه بهم لما رأي من جمالهم، وما يعلمه من فسوق قومه.(٢)

قوله ﷻ: ﴿وَقَالَ هَـذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ أي: وقال لوط عليه السلام في ضجر: هذا اليوم الذي جاءني فيه هؤلاء الضيوف، يوم عصيب أي: شديد في الشر، وأصله العصب: الشد، ومنه العصابة التي يشد بها الرأس.(٣)

ثم بين ﷻ ما كان عليه قوم لوط عندما علموا بوجود هؤلاء الضيوف فقال: ﴿وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ والعامة علي قراءته مبنياً للمفعول، وقرأ جماعة ﴿يَهْرَعُونَ﴾ بفتح الياء مبنياً للفاعل من هَرَع، وأصله من الهرع وهو الدم الشديد السيلان، كأنّ بعضه يدفع بعضاً، وجاء أهرع القوم إذا أسرعوا.(٤)

فقد جاء قوم لوط عليه السلام يسرعون يسوق بعضهم بعضاً مدفوعين بدوافع نفسية شيطانية، ولا غرابة في هذا فهم قوم كانوا يعملون السيئات قبل مجئ هؤلاء الضيوف فلا حياء عندهم لاعتيادهم لها حتى أخذوا وهم علي ذلك الحال.

ثم قصّ القرآن بعد ذلك ما بادرهم به نبيهم بعد أن رأي هياجهم وتدافعهم نحو بيته فقال ﷻ: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَـؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ يرشدهم إلي نسائهم فإن النبي للأمة بمترلة الوالد، فأرشدهم إلي ما هو أنفع لهم في الدنيا والآخرة، كما قال لهم في الآية الأخرى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾(٥) قال مجاهد:

(١) روح المعاني: ١٢/ ١٠٥.
(٢) التحرير والتنوير: ١٢/ ١٢٥.
(٣) انظر حاشية الصاوي علي الجلالين: ٢/ ١٩٠.
(٤) روح المعاني: ١٢/ ١٠٥.
(٥) سورة الشعراء الآيتان: ١٦٥، ١٦٦.

لم يكنّ بناته، ولكن كنّ من أمته، وكلّ نبي أبو أمته، وكذا روي عن قتادة وغير واحد.(١)

ثم أضاف إلي هذا الإرشاد إرشاداً آخر فقال: ﴿ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ﴾أي: اتقوا الله بترك الفواحش واقبلوا ما آمركم به من الاقتصار علي نسائكم، ولا تفضحوني في شأن ضيفي فإن إخزاء ضيف الرجل إخزاء له..

﴿ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴾ يهتدي إلي الحق الصريح ويرعوي عن الباطل القبيح، والاستفهام للتوبيخ.

ولكن هذا النصح والإرشاد من نبي الله لوط عليه السلام لقومه لم يحرك قلوبهم الميتة الآسنة، ولا فطرهم الشاذة المنكوسة، بل ردّوا عليه كما قص القرآن ﴿ قَالُواْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ أي: ما لنا فيهن من شهوة ولا حاجة، لأن من احتاج إلي شئ فكأنه حصل له فيه نوع حقّ... ويمكن أن يريدوا: أنه لاحقّ لنا في نكاحهن... ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ من إتيان الذكور (٢) (٥) صرّحوا له بغرضهم الخبيث قبّحهم الله.

ثم إن لوطاً عليه السلام لما علم تصميمهم علي الفاحشة وأنهم لا يتركون ما قد طلبوه﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً ﴾ أي: لو كان لي قوة أستطيع أن أدفع أذاكم بها ﴿ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ أي: ألجأ إلي عشيرة وأنصار تنصرني عليكم، وجواب ﴿ لَوْ ﴾ محذوف تقديره: لبطشت بكم. وفي الحديث: رحم الله أخي لوطاً لقد كان يأوي إلي ركن شديد يريد ﷺ أن الله عز وجل كان ناصره ومؤيده، فهو ركنه الشديد وسنده القوي، فإنه لا ركن أشد منه عز وجل. قال قتادة: وذكر لنا أن الله عز وجل لم يبعث نبياً بعد لوط إلا في منعة من عشيرته.(٣)

وبعد أن بلغ الضيق بلوط عليه السلام ما بلغ كشفت له الملائكة عن حقيقة أمرهم وأخبرته أنهم رسل الله إليه وأنهم لا وصول لهم إليه بضرور ولا مكروه. ﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾

قال الألوسي ولعله إنما جعل ميقات هلاكهم الصبح لأنه وقت الدّعة والراحة

(١)تفسير ابن كثير: ٢/ ٤٥٣.

(٢)فتح القدير: ٢/ ٦٣٧.

(٣)انظر روح المعاني: ١٢/ ١٠٨. والحديث في فتح الباري ك الأنبياء: ٦/ ٤٧٨.

فيكون حلول العذاب حينئذ أفظع ولأنه أنسب بكون ذلك عبرة للناظرين.(١)

ثم بين عز وجل في ختام القصة ما حلّ بهؤلاء الظالمين من عذاب استأصل به شأفتهم فقال: ﴿ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾

أي: فلما جاء وقت عذابنا،ونفذ قضاؤنا قلبنا بهم القرى فجعلنا العالي سافلاً، وأرسلنا علي أهل تلك القرى حجارة من طين متراكب بعضه إثر بعض لها علامة لا تزل علي غيرهم، وما هذه الحجارة الموصوفة من الظالمين وهم قوم لوط ببعيد، أو ما هي من كل ظالم من الظلمة ومنهم كفار قريش ومن عاضدهم علي الكفر بمحمد ﷺ ببعيد، فهم لظلمهم مستحقون لها.(٢)

وهكذا كانت نهاية قوم لوط عليه السلام، فقد عاقبهم الله عز وجل علي فعلتهم القذرة بأشد العقوبة، وجعل ذلك قرآناً يتلي، ليبقي عبرة للأمم والأجيال.

قال الشوكاني: وما أحق مرتكب هذه الجريمة، ومقارف هذه الرذيلة الذميمة، بأن يعاقب عقوبة يصير بها عبرة للمعتبرين، ويعذب تعذيباً يكسر شهوة الفسقة المتمردين، فحقيق بمن أتي فاحشة قوم ما سبقهم بها من أحد من العالمين أن يصْلي من العقوبة بما يكون في الشدة والشناعة مشبهاً لعقوبتهم وقد خسف الله تعالي بهم واستأصل بذلك العذاب بكرهم وثيبهم .اهـ.(٣)

(١)المصدر السابق ١٢/ ١١٢.

(٢)انظر فتح القدير:٢/ ٦٣٨: ٦٣٩ والتفسير الوسيط اد/ محمد سيد طنطاوي.

(٣)نيل الأوطار ك للحدود: ٨/ ٢٤٨ : ٢٤٩ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علي من ختم الله ﷻ به الرسالات سيدنا محمد ﷺ، وعلي آله أولي التجليات وأصحابه ذوي الهمم العاليات، ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

وبعد:

فإني أستطيع القول بعد هذه الدراسة المفيدة والمتواضعة لـ (بيان معاني الحق في القرآن الكريم دراسة موضوعية) أن الحق هو قوام العالم ولا يستطيع الناس العيش بدونه، وأنه في ذات الوقت جزء من العمل الصالح الذي ينجو به الإنسان من الخسران.

قال ﷻ: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (1)

والعمل الصالح ليس مجرّد صلاة تؤدّي بالحركات، أو صيام يؤدّي بالحرمان من اللذات، أو ذكر يجري علي اللسان ألفاظاً ميتة خالية من الخشية والرهبة. إنما العمل الصالح ما اشتمل علي روح الإسعاد: من إخلاص العبادة لله ﷻ، ومحبة الخير للفرد والجماعة، وأداء الحقوق كاملة وتحلي بفضائل الأخلاق: من الوفاء بالعهد، والصدق، والصبر، والشجاعة في الحق وذلك بأدائه وإظهاره، والإقرار به وعدم كتمانه والتكذيب به ووجوب إتباعه إلي غير ذلك.

وقوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه، العدل، وهو مطلوبٌ من الحكام ومطلوبٌ من الرعية.

اللهم إنا نسألك بحق أسمائك الحسني المستجابة وصفاتك العلا أن تردّ الناس إلي الحق والعدل وتهديهم إلي صراطك المستقيم. والحمد لله ربّ العالمين وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المؤلف
دكتور
محمد عبد الرحمن محمد عبدالله
أستاذ التفسير وعلوم القرآن
المساعد
كلية أصول الدين ـ القاهرة

(1) سورة العصر.

أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن للإمام السيوطي
- إرشاد العقل السليم إلي مزايا القرآن الكريم لأبي السعود
- الأشباه والنظائر في القرآن لمقاتل بن سليمان
- الأصلان في علوم القرآن اد/ عبد المنعم القيعي
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام للشيخ الطاهر ابن عاشور
- الاعتقاد والهداية إلي سبيل الرشاد للإمام البيهقي
- بحوث في أصول التفسير ومناهجه اد/ فهد الرومي
- البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي
- بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي
- تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير
- التفسير الواضح اد/محمد محمود حجازي
- التفسير الوسيط اد/ محمد سيد طنطاوي
- تيسير الكريم المنان للشيخ السعدي
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي
- جامع الرسائل للإمام ابن تيمية
- حاشية الصاوي علي تفسير الجلالين للإمام الصاوي
- الدعوة في ظلال القرآن ا/ أحمد فائز
- روح المعاني للعلامة الألوسى
- زاد المسير في علم التفسير للإمام ابن الجوزى
- صحيح مسلم بشرح الإمام النووي للإمام النووي
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر
- فتح القدير للإمام الشوكانى
- كتاب التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الغرناطي
- لسان العرب لابن منظور
- المدخل إلي نظرية الالتزام للشيخ مصطفي الزرقا
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني
- مقاييس اللغة أحمد بن فارس
- الملكية في الشريعة الإسلامية ا/ عبدالسلام العبادي
- نزهة الأعين النواظر للإمام ابن الجوزى
- الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبي عبدالله الدامغاني

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ١٣٥٩
تعريف الحق ١٣٦٢
استعمالات الحق في القرآن ١٣٦٥
الحق يعني: الله جلّ جلاله ١٣٦٨
الحق يعني: القرآن الكريم ١٣٧٢
الحق يعني: الإسلام ١٣٧٦
الحق يعني: التوحيد ١٣٨١
الحق يعني: العدل ١٣٨٦
الحق يعني: الصدق ١٣٩١
الحق يعني: وجب عليهم القول ١٣٩٣
الحق يعني: الذي ليس بباطل ١٣٩٨
الحق يعني: المال ١٤٠٢
الحق يعني: أولي ١٤٠٤
الحق يعني: الحظ ١٤٠٨
الحق يعني: الحاجة ١٤١٠
الخاتمة ١٤١٤
أهم المصادر والمراجع ١٤١٥
فهرس الموضوعات ١٤١٦